385

HARLEQUIN

روايات أحلام

عيون لا تنام

جين بورتر

www.elromancia.com
مرمورية

عيون لا تنام

وجدت صوفي نفسها مفلسة بعد أن توفي زوجها تاركاً إياها غارقة في الديون . وقررت أن الطريقة الوحيدة لطي هذه الصفحة التعيسة من حياتها هي القيام برحلة إلى أميركا الجنوبية .

لكن صوفي لم تنس مطلقاً أنها وافقت على الزواج من دون حب هرباً من عواطفها الجارفة نحو رجل آخر هو المليونير ألونسو غالفان

أما ألونسو فلم يستسلم أبداً رغم طول الغياب . وأخيراً التقى بها .. كانت وحيدة و يائسة . وفي أمس الحاجة إلى مساعدته . أهي مكافأة له لصبره بعد هذا العمر الطويل . أم أن تعلقه بها سيكلفه حياته !

لبنان	2500ل.ل	البحرين	1دينار
سوريا	75ل.س.	السعودية	10ريال
الأردن	1.5دينار	مصر	8جنيه
الكويت	750فلس	المغرب	15درهم
الإمارات	10دراهم	تونس	2دينار
قطر	10ريال	عمان	1ريال

ISBN 9953-18-353-1

www.elroaya.com

روايات أحلام

تصدر عن شركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م
المدير المسؤول: آمال سابا الهاشم

حقوق النشر والطباعة والتوزيع باللغة العربية
محفوظة لشركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م.
بترخيص خطي من Harlequin Enterprises II B.V

كل الحقوق محفوظة، بما فيها نسخ الكتاب بكامله أو جزء منه بأي شكل من الأشكال
تم نشر هذه الطبعة بالاتفاق مع شركة Harlequin Enterprises II B.V.

كل العلامات التجارية استعملت
بترخيص من شركة Harlequin Enterprises II B.V.

كل شخصيات هذه الرواية وهمية. أي شبه بين هذه الشخصيات وأشخاص حقيقيين أحياء كانوا أم أمواتاً هو محض صدفة

العنوان الأصلي لهذه الرواية باللغة الإنكليزية:
The Spaniard's Passion
First published in Great Britain 2003
Harlequin Mills & Boon Limited

© *Jane Porter 2003*
Translation © Dar El-Farasha - 2006

ISBN 9953 - 15 - 353 - 1

شركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م. طريق المطار - سنتر زعرور -
ص.ب: 11/8254 هاتف/ فاكس: 450950-1-961- بيروت - لبنان
Email: info@darelfarasha.com - http:www.darelfarasha.com

١ - حبيبها!

- كم ستدفع ثمناً له؟

سألت السيدة صوفي ويلكنز ذلك، وهي تمدّ يدها إلى الأعلى، تراقب لمعان الخاتم وهو يعكس الأضواء. فالزمردة المصقولة في الوسط والتي يحيط بها عدد من حبوب الماس لمعت بشدة تحت الأنوار المشرقة في متجر المجوهرات، وكأنها ترمي بالشرارات البيضاء كما تفعل الألعاب النارية في ليلة رأس السنة.

أجاب الصائغ: «عشرة آلاف جنيه».

فجأة، سمعت باب محل المجوهرات يُفتح، لكنها لم تستطع أن تبعد نظرها عن لمعان الحجارة الكريمة في إصبعها. عشرة الآف جنيه! كررت بصمت، عشرة الآف جنيه! تعلم صوفي أنها لن تحظى بأي شيء يوازي جمال هذا الخاتم ثانية، لكنها لا تستطيع الاحتفاظ به. عليها أن تذهب إلى البرازيل، كما أن هناك العديد من الفواتير التي يتوجب عليها أن تدفعها. عشرة الآف جنيه ستخلصها من الكثير من الديون.

صمتها أثار قلق الصائغ، فقال: «أظن أنني قد أتمكن من دفع عشرة الآف وخمس مئة جنيه».

قال ذلك خشية أن تحرمه من العرض الفريد، لذلك تابع: «لكن هذا هو أفضل سعر لدي، سيدة ويلكنز، لا أستطيع دفع المزيد».

سأل صوت رجولي عميق بسخرية: «حتى لو كنت ستحصل على ضعفي هذا السعر في الغد؟».

شعرت صوفي كأن ظلاماً ما قد مرّ فوق عينيها. لا يُعقل حدوث ذلك..

ببطء شديد رفعت نظرها، وببطء أيضاً تمكنت من رؤية الرجل الذي دخل المتجر. شعرت كأن أنفاسها حبست في صدرها. ترنحت قليلاً على قدميها.

- ليون؟

- صوفي!

لم تستطع أن تبعد نظرها عنه... تكورّت يدها في قبضة قوية، واستمرت بالتحديق إليه كأنها رأت شبحاً.

- ما الذي تفعله هنا؟

- أهتم ببعض الأعمال.

كررت كلامه وهي تشعر بالخدر: «بعض الأعمال؟».

فوجئت بكلامه، مع أنها تعلم أن آلونسو أحد أكبر تجار الزمرد في العالم.

بسرعة، وضع الصائغ العدسة المكبرة وقطعة القماش المخملية السوداء جانباً على المكتب، وقال: «لم أتوقع حضورك حتى نهار الغد، سيد هانتسمان. فالحجر لم يجهز، ولم يصبح مصقولاً بعد».

تمعّنت عينا صوفي عن كثب في قسمات وجهه، مع أن أصابعها بقيت ملتفة حول خاتم الزفاف الذي تضعه في إصبعها الرابع. سألته: «هل أنت هنا لشراء حجارة كريمة؟».

أجاب ليون: «حجر من الزمرد».

هل قطع نصف الكرة الأرضية ليشتري حجر زمرد؟

- لا بد أنه قيّم جداً.

لم تفارق عيناه عينيها وهو يقول: «مصدره الأساسي منجمي الخاص. لذلك يمكنك القول إنه ذو قيمة عاطفية خاصة».

شعرت صوفي بالحرارة تجتاحها، بعد ذلك شعرت بالبرودة. سحبت الخاتم من إصبعها، وقدمته إلى الصائغ وهي تقول: «قبلت عرضك».

هزّ الصائغ رأسه، وسرعان ما أمسك بالخاتم الذي قدمه لها كليف منذ ست سنوات مضت.

- هل تقبلين المال بشيك مصرفي، سيدة ويلكنز؟

- نعم.

بدا لها كأن حلقها قد انكمش بشدة حتى الاختناق، تابعت: «شكراً لك».

سار الصائغ عبر المتجر، فبدأت صوفي بإغلاق أزرار معطفها الصوفي الطويل. سألها ليون، وقد أخفض جفونه، ليخفي التعابير التي ظهرت على وجهه: «هل تبيعين خاتم زواجك؟».

أجابت: «إنه صائغ حسن السمعة».

انزعجت من النبرة المدافعة التي ظهرت بوضوح في صوتها.

- أليس لديك ما يكفي من المال؟

- إنني بألف خير.

لا مجال مطلقاً لإخبار ليون بالحقيقة. فهي لا تريد شفقته، ولا تريد أي تعاطف منه أيضاً. لقد اختارت كليف، وهذه نهاية القصة بينهما.

- لم أعلم قبل الآن أنك عدت إلى البلاد.

- لبضعة شهور من السنة.

- لم يكن لدي أي علم بذلك.

سمع ليون الرعب في صوتها، فشعر بنفحة قوية من العاطفة نحوها. عَلِمَ منذ البداية أن زواجها متزعزع، وربما أيضاً... فاشل، لكنها لم تقل يوماً كلمة سيئة عن كليف.

- أسافر بصورة مستمرة بين لندن وجنوب أميركا. وهذا بالطبع يتوقف على الأعمال.

لم يرها منذ سنوات، ومع ذلك فهي ما زالت جميلة، بل أكثر جمالاً من السابق. وإن كان هناك تغير ما، فهو الحزن الذي رسم ملامح أجمل على وجهها، وأظهر غموضاً في حاجبيها، كما جعل فمها أكثر نعومة وغمازات خديها أكثر عمقاً. معظم النساء لا يستطعن الحصول على مثل ذلك الجمال إلا من خلال العمليات الجراحية، أما صوفي فقد منحتها الطبيعة ذلك الجمال بدون أي عناء.

عاد الصائغ وهو يحمل الشيك المصرفي بيده. أخذته صوفي بصمت،

www.elromancia.com

ووضعته في حقيبتها. بعد إتمام المعاملات التجارية، تمتمت صوفي شاكرة، لكن ليون رافقها إلى الخارج، فقالت معترضة: «لم تنهِ العمل الذي أتيت لأجله؟».

- لم يجهز حجر الزمرد بعد. سأعود في وقت لاحق.

كان الطقس بارداً في الخارج. فالحرارة في فترة بعد الظهر تتدنى بصورة واضحة. تنفست صوفي بسرعة محاولة أن توضح أفكارها. ليون هنا! هذا أمر مستحيل! فهي لم تصادفه مرة واحدة طوال تلك السنوات، ومنذ أن غادروا كولومبيا.

شدّت معطفها إليها أكثر، حين مرّ حشد من المارة أمامهما متدافعين.

قال ليون راغباً في كسر الصمت الثقيل بينهما: «نحن على أبواب عيد الميلاد».

وهذا يعني أن سنتين مرتا منذ وفاة كليف. عضت صوفي على شفتها السفلى، محاولة أن تبعد الدموع عن عينيها، وأن تتخلص من العواطف المربكة التي تهدد بالسيطرة عليها.

يا إلهي! لقد افتقدت ليون كثيراً. كان صديقها لسنوات عدة، ثم اختفى فجأة من حياتها. حاولت جاهدة أن تفكر متى رأته آخر مرة، لكنها لم تستطع حتى أن تتصور كم مرّ على تلك المناسبة. قالت بصوت أجش: «ما زلت تبدو كبريري».

- وأنت لا تحبين البرابرة.

- كنت أحبك.

- أفي الماضي فقط؟

وخزت الدموع عيني صوفي مرة ثانية وبقوة، وعبثت الريح بمعطفها، فشعرت بالبرد القارس يلفح بشرتها الناعمة. تساءلت كم كانت الأكاذيب بينهما كبيرة.. تلك الأكاذيب التي اقنعت نفسها بها، لتتمكن من الإحساس أنها اتخذت القرار الأنسب لحياتها. قالت بصوت حازم: «علي العودة إلى المنزل، فالكونتيسة بانتظاري!».

بدأت حبات المطر بالانهمار من الغيوم السوداء الداكنة، فقال ليون: «سأوصلك بنفسي».

- المنزل بعيد جداً، وتحتاج إلى ساعة ونصف كي...

كرّر قائلاً: «سأوصلك بنفسي».

ما زال قاسياً، مسيطراً، وثابتاً كالصخر. ارتجفت بسبب المشاعر التي اجتاحتها... ها هو قد عاد إلى حياتها، ومنذ عشرين دقيقة فقط، ولم يعد أي شيء تعهده كما كان سابقاً. لكن، هكذا هو ليون؛ عظيم ومسيطر.

شعرت صوفي وهي داخل سيارته بأكثر العواطف غرابة وتناقضاً، عواطف مجنونة من الشوق والندم والخيبة. فكرت أنها قد تفعل أي شيء ومهما يكن لتعود بالزمن إلى الوراء ولتستعيد فترة المراهقة التي كانوا فيها جميعاً معاً.

قال ليون بهدوء: «اشتقت إليك، صوفي».

راح قلبها يخفق، مسبباً لها الألم. ألم لطالما شعرت به عندما كانت مراهقة، حين علمت أنه يريدها، ولم تعلم كيف تفكر أو حتى كيف تشعر. انهمرت الدموع من عينيها، فأغمضتهما كي تتخلص من تلك الدموع.

يا له من أمر محرج! لمَ عليها أن تبدو عاطفية جداً؟ لم تشعر أنها كذلك منذ فترة طويلة. فمنذ وفاة كليف وهي تشعر أنها قادرة على كبح عواطفها بقوة. لكنها تكاد الآن تقفز من جلدها.

أرادت أن تضع اللوم على أعصابها، فهي تشعر بالتعب والاحباط والعصبية الشديدة بسبب عدم قيامها بأي عمل، لكن السبب الحقيقي هو ليون. إن له تأثيراً كبيراً عليها، فهو يحولها إلى كتلة من التناقضات والحيرة، ويجعلها تشعر بأحاسيس مختلفة.

كما أنه ما زال جذاباً، ويفرض إرادته بالقوة. بدت ملامح وجه ليون متناقضة، أما شعره الأسود الداكن وعيناه الزرقاوان الصافيتان، فتشد الانتباه بقوة. وربما هذا ما يجذب النساء إليه. فهو يبدو غريباً، وخطراً.

وفي الحقيقة... إنه خطر جداً!

حاولت أن تخفي التوتر الذي تشعر به، وتنكر قوة مشاعرها، لكنها لم تنجح بذلك. ما كان عليها أن تجلس بقربه هنا، وبمفردها. لا تستطيع أن تسمح لنفسها بالاقتراب منه، فهما ليسا مراهقين الآن، وهي تعلم أن ليون ليس من

www.elromancia.com

النوع الذي يمكن المزاح معه، بل من ذلك النوع المسيطر الذي لا يقبل بالمساومة على ما يريده.

طافت بنظرها على جبهته الواسعة، وفكه العريض، وأنفه القوي، قبل أن يستقر نظرها على الجرح الممتد على حافة خده الأيمن. لم يكن ذلك الجرح موجوداً منذ خمس سنوات.

- كيف تعرضت لهذا الجرح في وجهك؟

- جرحت خدي أثناء الحلاقة.

تراجع إلى الوراء في المقعد الجلدي. بدا الجرح عميقاً وبشعاً، ولم تصدق صوفي أنه حصل أثناء الحلاقة.

- لا بد أن موس الحلاقة كانت كبيرة جداً.

التوت زاوية فمه وقال: «بل ضخمة أيضاً».

لم تستطع أن تبعد نظرها عن الجرح. لا بد أن الجرح سبّب الألم لوجهه القاسي، لكنه مع ذلك أضاف إليه قسوة وميزة خاصتين به. فمع الخطوط حول عينيه والجرح البادي على خده، بدا ليون وكأنه رجل يعرف تماماً طريقه في هذا العالم الخطر. رجل علمته الحياة دروساً قاسية.

- هل سبب لك الألم؟

- فقدانك سبب لي ألماً أكبر.

تنفست صوفي بعمق، ونظرت إلى يديها العاريتين. شعرت بيدها اليسرى خالية بدون خاتمها الماسي الثقيل. وسألته: «إذن، أنت لم تتزوج بعد؟».

- لا.

- ألديك حبيبة ما؟

- أنت فضولية حقاً، عزيزتي. هل أنت راغبة في الحصول على هذه الوظيفة؟

ابتسامته الساخرة الهادئة جعلت دقات قلبها تتسارع، وشعرت بأطرافها ثقيلة كالرصاص. آه! ما زال ليون يشكل خطراً عليها، وما زال يستطيع قلب حياتها رأساً على عقب، ليجعلها تشعر بالتوتر والاضطراب.

- آسفة، لست مهتمة مطلقاً بذلك.

ما كان عليها أبداً الركوب معه في سيارته، وما كان عليها مطلقاً القبول بمرافقته.

ضغطت صوفي على عينيها وهي تغمضهما. بإمكانه أن يسبب لها الألم بطرق لا يستطيعها أحد سواه.

كسر ليون الصمت ثانية بينهما: «كنت سأدفع لك ضعفي المبلغ الذي تقاضيته ثمناً للخاتم، صوفي. لمَ لم تأتي إليّ؟».

- لست بحاجة إلى إحسانك.

- ليس هناك مجال للإحسان. فحبة الزمرد وحدها تساوي عشرين ألف جنيه، أمّا ما تبقى فيستحق مبلغاً يقدر بين العشرة والخمسة عشر ألفاً.

رفعت كتفيها بلا مبالاة، وقالت لنفسها: لا تفكري بالأمر، فأنت لا تعلمين شيئاً عن الأحجار الكريمة.

- إنني راضية بما حصلت عليه.

- ما دمت سعيدة.. هذا هو المهم.

ومرّر يده على جبهته بتعب واضح.

لاحظت صوفي أن شعره طويل، أطول مما كان عليه منذ عشر سنوات. فهو يكاد يلامس كتفيه. كما أنه، هو نفسه، بدا ضخماً جداً على سيارته البورش السوداء، فكتفاه يملآن السيارة. كذلك بدت يداه ضخمتين على مقود السيارة، وبدا لون بشرته أسمر، ما يدل على أنه يقضي ساعات طويلة تحت أشعة الشمس.

لكنه لم يبدُ فقط ضخماً، بل بدا قوياً أيضاً، وصاحب سلطة هائلة...

كانت صوفي تعلم أن ليون عمل في المناجم في ما مضى، وذلك لسنوات قبل أن يصبح قادراً على شراء حصة في أحد المناجم. لم يكن يخاف أبداً من المتفجرات ومن الأماكن الضيقة والوعرة، أو من المرور في الأنفية المحفوفة بالمخاطر والمعرضة للانهيار.

يا لهما من شخصين متناقضي الطباع! ليون الذي لا يخاف من شيء، وصوفي التي تخاف من كل شيء...

- كم دام شهر العسل في حياتك، صوفي؟

أجفلت لسؤاله، وأصيبت بالصدمة من برودة أعصابه.

- هذا ليس من شأنك.

ابتسم ليون ابتسامة باردة، وقال: «أريد أن أعرف. أخبريني، كم مضى من الوقت قبل أن تكتشفي أنك ارتكبت أكبر غلطة في حياتك؟».

شعرت بجفاف في فمها، فحاولت جاهدة أن تبتلع غصة في حلقها، لتقول: «تراجع عما قلته!».

- لا مجال لذلك.

- لا يحق لك التحدث...

- لقد أحببتك.

انخفض صوته، وظهر الغضب والضيق على وجهه وهو يتابع: «لم يحبك كليف مطلقاً. كل ما أراده هو ألاّ أحصل عليك وأتزوجك».

- لا!

- بلى. وأنت أيتها الفتاة السخيفة، أخافتك عواطفك، فركضت مباشرة لتقعي بين ذراعيه.

دار رأسها، فكلمات ليون كادت تسبب لها الإغماء. مدّت يدها لتمسك بقبضة الباب، وكأنها تستطيع الفرار. لكن لم يكن هناك أي مهرب لها. ليون وجدها، وهو ما زال يريدها. أدركت في أعماق نفسها أنه لن يسمح لها بالفرار هذه المرة.

- هل تعلمين بماذا شعرت عندما أدركت أنني فقدتك إلى الأبد؟

اصطكت أسنانه ببعضها، وراح يحدق مباشرة من خلال الزجاج الأمامي، بينما كان الليل يرخي بظلاله حولهما. لكن الانفعال بقي بادياً على وجهه.

- أعرف أنك لست على علاقة غرامية مع أحد، فصوفي جونسون الطيبة ستبقى مخلصة لزوجها حتى بعد وفاته. أليس كذلك؟

- بالطبع ما زلت وفية.

- بالطبع!

ابتسم ليون لكن لم يكن هناك أي أثر للفرح أو للحنان في ابتسامته. كما لم يكن هناك أثر للرحمة في عينيه وهو يتابع: «أنت وفية لأي كان... إلا لي».

اندفعت الدماء إلى خديها وشعرت بنفسها تكاد تحترق من الحرارة ومن الآلام الحادة التي انتشرت في جسمها بأكمله.

- كنا شابين، ليون. وأنا كنت في سن المراهقة.

- لم تكوني صغيرة جداً.

- لقد مضى وقت طويل على ذلك.

- ليس بالوقت الكافي كي أنسى.

- ليون!

- لا تعتقدي أن الأمر أصبح منتهياً الآن، صوفي.

صوته العميق أثر بها، بل سيطر عليها، فوجدت نفسها ترفع نظرها إليه. توقعت أن تبدو عيناه غامضتين وحزينتين، لكنهما بدتا صافيتين ومشرقتين بلونهما الأزرق الفاتح.

- حتى إنه لن ينتهي في وقت قريب، فأنت لم تبلغي بعد الثامنة والعشرين من عمرك، وأنا في الثانية والثلاثين. ما زال لدينا كل الوقت المتبقي لنا في الحياة.

حين وصلا إلى ملروز كورت، شعرت صوفي بالدوار، وراحت معدتها تتحرك باضطراب واهتياج، فأدركت أنها ستصاب بالإغماء قريباً. رماها ليون بنظرة قاسية ما إن أوقف سيارته.

- هل تناولت طعاماً اليوم؟

- إنني بخير.

لكن ما إن حاولت الخروج من السيارة حتى شعرت أنها ليست كذلك. إذ التوت رجلاها تحتها، وامتلأت عيناها بدموع الغضب.

حملها ليون بين ذراعيه متجاهلاً اعتراضها، وسار بها على الدرج. قال للكونتيسة ويلكنز التي ظهرت الدهشة على وجهها: «شعرت بقليل من الإغماء».

www.elromancia.com

أبقى ذراعه ملتفة حول خصر صوفي وهو يتابع: «هل يمكنك إحضار كوب من الماء؟».

غابت الكونتيسة على الفور، فحدق ليون بوجه صوفي وقال: «تبدين شاحبة قليلاً، صوفي».

ليون فقط بإمكانه أن يكون عديم الشفقة هكذا، وليون هو الوحيد الذي يرغب بمعاقبتها. نعم، لقد أحبته طوال تلك السنين الماضية. وربما ستحبه إلى الأبد أيضاً. لكنه يريد أكثر من حبها. يريد كل شيء... كل ما لديها. وهو يثير مخاوفها حتى الجحيم.

همست، لأنها تدرك أن لويزا قد تعود في أية لحظة: «لست مستعدة للتقرُّب من أي شخص مرة ثانية».

- أحقاً؟

- أجل.

- إذن، ليس صحيحاً ما يقال عنك وعن .... ما اسمه؟ رجل غني ووسيم. شعره أسود يشبه شعري، وعيناه سوداوان..

قاطعته بصوت ناعم مخنوق: «فدريكو».

قال ليون ببطء، مفكراً وهو يكرر الاسم: «فدريكو... يبدو لي غريباً».

ارتعشت صوفي، وأبعدت نظراتها الغامضة وهي تقول: «ألسنا جميعاً غرباء؟».

في أي وقت آخر، كان ألونسو ليبتسم لما قالته، فتلك هي الحقيقة. هما أيضاً كانا غريبين عن بعضهما البعض عندما التقيا وهما مراهقين في أميركا اللاتينية. هكذا هم معظم الناس الذين يعيشون في أماكن مختلفة من العالم؛ الدبلوماسيون، المهندسون، أصحاب المناجم، أصحاب البنوك، والمستثمرون الأجانب. لكن ليون لم يستطع الابتسام... ليس وهما يتحدثان عن فدريكو ألفارو.

كان مايكل فالديز أحد أكبر تجار المخدرات في أميركا اللاتينية، ويعتبر

فدريكو ألفارو يده اليمنى. وليون يعرف فدريكو شخصياً، فهو عميل استخبارات سابق، وقد يجر صوفي إلى الجحيم إن استطاع.

قال متابعاً الحديث، ومحاولاً تجاهل النار التي تحرق أضلعه: «لا بأس إن كان لديك صديق جديد».

مجرد التفكير بصوفي مع رجل آخر أمر مؤلم بالنسبة إليه، بالكاد يستطيع احتماله، لكن مع فدريكو ألفارو؟ أبداً.

تلك الإشاعة بالذات هي التي أعادته إلى إنكلترا. اتصالاته أعلمته أن السيدة ويلكنز واقعة في ورطة، وأنها ترافق واحداً من أخطر المجرمين في العالم. لكنه لم يصدق ذلك.. حتى الآن.

- ما من سبب يمنعك من اتخاذ صديق جديد. مرَّت سنتان على وفاة كليف.

- لست مهتمة أبداً بالحصول على صديق بالمعنى الذي تقصده. فدريكو ليس صديقاً مميزاً، إنه مجرد صديق فقط.

لم تستطع صوفي أن تنظر إلى عيني ليون، ركزت نظرها على نقطة ما على الأرض، وتابعت: «فدريكو كان يعمل لدى كليف».

في تلك اللحظة، لم يستطع ليون أن يحدد إن كانت بريئة إلى حد السذاجة أم أنها وقحة حقاً.

قال مع عودة الكونتيسة وهي تحمل كوب الماء: «لم تكن لدي فكرة عن ذلك».

قالت لويزا ويلكنز، وهي تضم ألونسو إليها في عناق سريع: «لا أستطيع القول كم أنا سعيدة برؤيتك. مرَّت سنوات، وبالتحديد ستتان، منذ جنازة كليف».

سمع ليون شهقة صوفي وشعر باضطرابها، فأجاب وهو يحاول الانتقال إلى مواضيع أقل حساسية: «أعتقد أنك بخير. كما أنك تبدين رائعة، لويزا. وكأنك لم تكبري يوماً واحداً».

أشرق وجه الكونتيسة وقالت: «شكراً لك، ألونسو، ولطف منك قول مثل هذا الكلام. ستبقى لتناول العشاء معنا، أليس كذلك؟».

www.elromancia.com

بدا الرعب في عيني صوفي الزرقاوين، وقالت: «أعتقد أن لديه عملاً ما، لويزا».

صحح ليون معلوماتها قائلا: «لست منشغلاً إلى هذه الدرجة، وأحب أن أبقى».

ضمت الكونتيسة يديها إلى بعضهما فوق معدتها، وقالت: «سأطلب من الطباخ أن يضيف صحناً إلى المائدة».

ثم استدارت لتقول لصوفي: «صوفي، خذي آلونسو إلى غرفة الطعام، أتذكر أنه يحب تناول عصير ما قبل العشاء».

* * *

راقبت صوفي ليون قبل أن تقول: «يبدو أنها تحاول أن تجد لك مكاناً خاصاً عندها».

- إنه فصل الأعياد، وهي تشعر بالحنين.

رشف رشفة من كوبه وتابع: «أعتقد أن عيد الميلاد صعب جداً بالنسبة لها».

لم تقل صوفي شيئاً بل جلست على الأريكة المغطاة بالقماش، واضعة إحدى ساقيها فوق الأخرى.

قال ليون بهدوء مصطنع: «لا بد أن من الصعب عليك العيش بمفردك مع الكونتيسة هنا».

شعر بالغضب يتنامى في داخله، كما بدأ يشعر بالتوتر. ولم يعجبه أبداً أن يفقد برودة أعصابه.

لطالما مازحه رفاقه الضباط بقولهم إنه عندما يندفع في مهمة ما، فهو يظهر قوة فوق قوة البشر. وكان ذلك صحيحاً، إذ بإمكان ليون أن يرفع ما يوازي ضعف وزنه. وعندما كان في مخيم للتدريب تمكن من إزاحة ورفع ست مئة كيلو غرام، فيما كان الآخرون ينظرون إليه باستغراب.

قال لهم يومها إن ذلك يجري في دمه، وإن والده كان يعمل في المناجم وهو من سكوتلندا. لكن ما أخبرهم به لم يكن سوى جزء من الحقيقة. فزوج أمه كان من

سكوتلندا وكان عاملاً بالمناجم. أمّا والده الحقيقي فهو أرستقراطي من الأرجنتين، وقد قتل في حادث سير وهو يقود سيارته بسرعة قصوى. ودماء ليون الأرجنتينية تلك هي التي كانت توقعه في المشاكل.

تحركت صوفي بيأس وضيق، وقالت: «لويزا تعاملني معاملة جيدة حقاً».

مجرد التحدث عن الأمر بدا مثيراً للضحك والهزء، فالجميع يعلم أن الكونتيسة تعامل صوفي كشخص من الدرجة الثانية. لكن ربما هو قاس جداً، وربما الأمور قد تغيرت حقاً. قال: «إنها تبدو بخير».

- إنها في صحة جيدة وعلى نحو لافت للنظر. وبالطبع، في هذا الوقت من السنة، تهتم كثيراً بالحفلة التي ستقيمها.

- آه، نعم، الحفلة السنوية لعائلة ويلكنز في عيد الميلاد. وصلتني بطاقة الدعوة الأسبوع الماضي.

لم تستطع صوفي أن تخفي دهشتها: «تلقيت بطاقة دعوة؟».

أجاب ليون بثقة كبيرة: «أحصل على بطاقة كل عام».

هو يعلم، مثلها تماماً، أن الكونتيسة لم تكن تحبه مطلقاً، لكنه تابع: «لكن لم يصادف أن كنت في البلاد من قبل».

- هذا يعني أنك ستحضر الحفلة، إذن؟

سمع التردد في صوتها. هي لا تريده أن يحضر. إنه أمر مشوق حقاً!

- هل عليَّ الحضور؟

- لا!

اصطبغ وجهها باللون الأحمر بسبب الاضطراب، فأضافت بسرعة: «إنها ليست من الحفلات التي تحب الذهاب إليها. إذ يحضرها مئات من الأشخاص، وليس هناك طعام كاف للجميع. ولا أعتقد أنك تعرف أياً من الأشخاص القادمين إلى هنا».

- لكن إذا تمكنت من رؤيتك، فالأمر يستحق العناء.

رغبت صوفي بالوقوف، لكنها بدلت رأيها. ضغطت بيديها بقوة على وسادة

www.elromancia.com

الأريكة، وقالت: «لا شيء سيحدث بيننا، ليون. لم أنسَ بعد كليف. وأنا لست مستعدة لأي شخص جديد...!».

- أنا لست جديداً بالنسبة إليك.

فكرت صوفي أنه على حق، وشعرت بقلبها ينسحق في صدرها. كان ليون جزءاً من عالمها لمدة تزيد عن خمسة عشر عاماً، لكن منذ خمسة عشر سنة لم يكن مناسباً لها. ومنذ عشر سنوات لم يكن مناسباً أيضاً. وحتى اليوم ليس هو ما تحتاج إليه. قالت: «من فضلك لا تجعل لقاءنا هذا بشعاً، ليون. ولا تجبرني أن أكون فظّة».

- أنت... فظّة؟

ضحك بدون أي إحساس بالمرح، وتابع: «لا يمكنك أن تكوني فظّة حتى لو حاولت. أنت تجعلين من الدبلوماسية فناً بحد ذاته. كما أنك تحولين المجاملة إلى فضيلة. يمكنك أن ترتاحي الآن، صوفي. فأنت الآن الشهيدة التي أردت دائماً أن تكونيها».

شعرت صوفي بالدوار، فضغطت بأصابعها على الوسادة القديمة. إنه قادر جداً على جرحها، وعلى إصابتها في الصميم.

- وأنت ليون، هل تستمتع بكونك قاسياً؟

راقب ملامح وجهها الناعمة المضطربة، وفمها المضغوط بقسوة. انخفض صوتها وهي تتكلم حتى إنه بالكاد سمع ما قالته. بدت رقيقة جداً وهي تجلس على حافة الأريكة، ولا تشبه أبداً النساء الهادئات اللواتي كان يملأ حياته بهن دون قصد منه. صوفي ليست هادئة أو عادية. إنها امرأة نادرة وجميلة، وكأنها تنتمي إلى عالم آخر. لقد أحبها دوماً، حتى إن فقدانها كان كالموت بالنسبة إليه.

نعم كان يتعمد القسوة معها، ويريد أن يسبب لها الألم. ففي أعماقه، ما زال يريدها أن تعاني لأنها اختارت كليف بدلاً منه. فقد خسر ليون قلبه منذ اليوم الذي مشى فيه مع صوفي عبر الممر في الكنيسة، ليسلمها رسمياً إلى كليف.

لم يقل ذلك أبداً بصوت عالٍ، حتى إنه لم يحاول تذكر ذلك، لكنه كرهها لأنها

طلبت منه أن يسير معها عبر الممر. كره أن يقوم بدور والدها الذي كان مريضاً ولم يستطع المشاركة في الزفاف. كره أن تحوله إلى أحد أفراد عائلتها، ليحل محل أخيها أو أبيها.

لم يكن يريد أن يكون أباها. أراد أن يكون حبيبها.

www.elromancia.com

٢ - لن أخسرك!

هزَّ ليون رأسه بندم، وقال: «عادة ما أكون مسيطراً تماماً على نفسي، لا يدي ويلكنز، إلا عندما يتعلق الأمر بك».

- وأنت تتساءل لِمَ كان كليف يشعر بعدم الارتياح بقربك بعد زواجنا؟

شعرت وكأنها ستختنق، فنهضت على الفور عن الأريكة.

لا، لم يكن ليون يتساءل لما لم يكن كليف يشعر بالراحة قربه، فهو يعرف السبب، لكنه لا يستطيع أن يخبر صوفي بذلك. لا يستطيع أن يخبرها أي شيء عن ماضي كليف السري. لم يقل لها كليف أبداً كيف كان، أو ماذا حدث له وكيف أصبح، ومع أن ليون يعرف الكثير، لكنه أقسم منذ سنتين أنه سيحمي صوفي من الحقيقة. لأن الحقيقة ستصيبها بالانهيار، تماماً كما فعلت به.

اجتاحته عواطف متأججة وقوية، وعاودته الذكريات الصعبة، فسار نحوها وقال: «إذا كنا أنا وكليف قد تباعدنا، فلا يتعلق الأمر بلطافتي وكياستي».

- لا يمكن أن يكون الأمر بهذه البساطة. كنتما أفضل صديقين لسنوات طويلة. كنتما تفعلان كل شيء معاً. تعلمتما في المدرسة الداخلية نفسها، وفي الجامعة نفسها. وكان لديكما الأصدقاء أنفسهم، حتى إنه رغب بالانتساب إلى القوات الجوية الملكية عندما فعلت أنت ذلك.

لمعت عينا ليون الزرقاوان وهو ينظر إليها، وقال: «ربما كان السبب شدة اقترابنا من بعضنا. ربما كان من الأفضل لكليف أن يتخذ أصدقاء جدداً، وأن يحيط نفسه بالناس أكثر. كما أنني لم أستطع أن أكون صديقاً جيداً لكليف، ولا أعتقد أنني تمكنت يوماً من جعله يشعر بأنه إنسان مميز».

كانا يتجهان نحو منطقة محظورة بكلامهما. فهي تعلم أن ليون كان غاضباً من كليف، ومنذ فترة طويلة. والآن هي بحاجة لأن تفهم السبب، تماماً كما هي بحاجة لتفهم ما الذي حدث لكليف في البرازيل.

- لِمَ لم تكن صديقاً جيداً لكليف؟ ولِمَ لم تكن تجعله يشعر بأنه إنسان مميز؟

تردَّد ليون وكأنه وجد نفسه مرغماً على قول ما لا يريده. قال أخيراً: «كلنا تغيرنا، وأصبح لكل منا شخصيته المميزة».

لكن صوفي لم تستطع التوقف عن المحاولة. كان ذلك جزءاً من الغموض الذي أحاط بكليف، وجزءاً من الغموض الذي أثر على زواجهما. قالت: «كليف لم يتغير، لا بد أنك أنت من تغير».

- كليف.. تغير أيضاً. كان كليف معقداً جداً.

كليف، معقد؟ لم تستطع صوفي أن تصدق ذلك للحظة واحدة. كان كليف الشخص الأقل تعقيداً الذي تعرفت عليه في حياتها كلها.

- أنت لا تتحدث بمنطق. فأنا أعرفك جيداً، ليون. وأعلم أنك تتجه دائماً إلى قلب الموضوع، لكنك الآن تدور حوله. أنت لا تخبرني شيئاً لم أكن أعرفه من قبل.

- وما الغاية من بحث ذلك الآن؟ ولِمَ يفيدك أن أخبرك لماذا تباعدنا أنا وكليف؟ كيف سيساعدك ذلك؟

اقترب منها ورتب الياقة المحبوكة على فستانها، ثم قال: «كنا أصدقاء، نحن الثلاثة، ولم أشأ أن أسبب الأذى له، كما أنني لا أريد أن أسبب لك الأذى أيضاً».

ولمس بأصابعه جانب عنقها.

شعرت باحساس غريب يخترق عنقها ويلهب مشاعرها. ضغطت صوفي بقوة على يديها، محاولة أن تتجاهل ذلك الإحساس.

الحياة لا تتطلب أحاسيس ملتهبة، بل تتطلب إحساساً بارداً ورأساً هادئاً. الحياة تتطلب المواجهة العملية. وليون ليس عملياً على الإطلاق، بل هو الرجل الأقل دقة الذي عرفته في حياتها.

حبست صوفي أنفاسها، محاولة أن تتمسك بغضبها، ومحاولة ألاّ تدع عواطفها أكثر قوة وحدة. ذكرت نفسها بصمت أن عليها ألاّ تنسى من يكون ليون فعلياً، فهو رجل يحب التنقل من مكان إلى آخر. وكانت على صواب عندما اختارت كليف، فليون لا يثبت في مكان واحد مطلقاً. إنه العازب الدائم، الذي لا يرضى بأي قيود، ولا يرغب في أن تكون له جذور في أي مكان. هو لا يحب الأطفال، ولا علاقة له بالعائلة.

خلال حياتهم في المدرسة الداخلية، كان ليون واحداً من التلامذة الذين لا يذهبون أبداً إلى منازلهم. لا في نهايات الأسبوع، ولا حتى في معظم العطلات المدرسية. اعتقدت لسنوات أن تلك كانت رغبة أمه، ولم تعرف الحقيقة إلا عندما قبلوا في الجامعة. يومها علمت أن ذلك كان خيار ليون نفسه، فهو لم يتحمل العيش مع أمه وزوجها.

سألته: «هل ترى أمك كثيراً هذه الأيام؟».

حاولت تجاهل الإحساس بيده التي بقيت على ياقتها. بدت لمسته ناعمة ورشيقة، وحاولت صوفي تجاهل الشوق القديم الذي عاد إلى قلبها جراء لمسته. فقربه منها يجعلها تشعر بالكثير من العواطف والأحاسيس، ولطالما أخافتها تلك الأحاسيس القوية، وما زالت تخيفها.

أجاب ليون وعيناه تنظران إلى عينيها: «عندما أستطيع ذلك».

بدت عيناه الزرقاوان مليئتين بأسرار لم يقلها لأحد، تماماً كما كانتا عندما كان مراهقاً في لانجلي. لكن عندما غادر المدرسة مع كليف وصوفي اختفت تلك الظلال من عينيه. أما الآن فقد عادت تلك الظلال وعاد ذلك الغموض إليهما، بالإضافة إلى القسوة أيضاً.

- عادت أمي وبويد إلى سكوتلندا، وهما يعيشان الآن في ضواحي أدنبرغ. وعدت أمي بالذهاب إليها في عطلة الميلاد. ومن المحتمل أن أعود إلى لندن في يوم رأس السنة.

وفي رأس السنة ستستقل هي الطائرة لتذهب إلى البرازيل.

- هل هما بخير؟

- نعم. فهما يستمتعان بتقاعد بويد.

تابع ليون وهو يلمس بلطف عنقها: «وأنت كيف حالك؟ هل أنت سعيدة؟».

شعرت بصوته العميق القوي في داخلها، فارتجفت. ارتجفت من الشوق الذي لم تستطع السيطرة عليه. ما زال ليون قادراً على السيطرة عليها بكل طريقة ممكنة.

همست: «سعيدة؟».

وأدركت أنها، وإن كانت لا تستطيع أن تحبه بالطريقة التي أرادها هو، لكنها لا تستطيع أن تكرهه أيضاً.

- لقد توفي زوجي، وفقدت منزلي. وأنا أعتمد على كرم حماتي كي أعيش.

التقت عيناها بعينيه وتابعت: «ماذا تعتقد؟ هل تراني سعيدة؟».

مرّر إصبعه على ذقنها وقال: «أعتقد أنك بحاجة إليّ».

- ما زلت متفاخراً ومتكبراً بشكل لا يصدق.

فتحت أبواب المكتبة فجأة. ودخلت الكونتيسة وهي تمد يدها إلى آلونسو، قائلة: «العشاء جاهز، عزيزي. هل نذهب؟».

* * *

أثناء العشاء، بدت الكونتيسة في أبهى حلتها. وراحت تسلي ليون بقصصها المتالية. ومع أنها واحدة من أسوأ الذين يسردون القصص، لكن ليون كان يصغي باهتمام، بينما راحت لويزا تصف له مشاريع فصل الخريف لمنظمة سيدات سومرست الثقافية، بأدق التفاصيل المملة.

تساءلت صوفي كيف يمكن لليون أن يحتفظ بهدوئه. ما كان ليون ليصغي مطلقاً إلى قصص لويزا المملة منذ عشر سنوات مضت.

لقد تغيروا جميعاً، وبشكل مختلف تماماً خلال السنوات العشر الماضية، لا بل خلال السنوات الخمس الماضية. ففقدانهم لكليف بدّل كل شيء بالنسبة لهم.

رفع ليون نظره، والتقت عيناه بعينيها. كادت تقسم أنه عرف تماماً ما الذي تفكر به. نظر إليها بكثير من الحنان والشوق، ما جعل صوفي تحبس أنفاسها من

www.elromancia.com

الشوق والفضول.

أصدرت الكونتيسة صوتاً وهي تعيد فنجانها إلى الصحن، وقالت تحدث ليون: «هل تناولت ما يكفي من الحلوى، عزيزي؟».

- نعم، لويزا، شكراً لك.

قالت لويزا: «إذن، سترافقني إلى المكتبة».

ابتعدت عن الطاولة، فيما نهضت صوفي وبدأت في وضع الصحون فوق بعضها البعض.

- لِمَ لا أبقى لمساعدة صوفي في تنظيف الطاولة؟

حرّكت الكونتيسة يدها بلا اهتمام، وقالت: «لا داعي لذلك، فصوفي بخير».

تقدمت الكونتيسة إلى الأمام، وأمسكت بذراع ليون وكأنه الرجل الأخير في هذه الدنيا، وتابعت: «ألست كذلك، صوفي؟».

وافقت صوفي على الفور: «إنني بخير حقاً».

قالت ذلك ليس لأنها لا تريد أية مساعدة في المطبخ، بل لأنها بحاجة إلى قضاء بضع دقائق بمفردها لتتمكن من استجماع شجاعتها واستعادة قوتها. فرؤية ليون والتحدث إليه، ومناقشة الماضي، رمتها في حالة من التشويش والفوضى. كان يفترض بها أن تنشغل بتحديد ما تريده من رحلتها إلى البرازيل، وبدلاً من ذلك كل ما تستطيع التفكير به في هذه اللحظة هو ليون، وكيف كانت الأمور بينهما، ومدى قوة عاطفتهما تجاه بعضهما البعض.

لكن أليس هذا ما تشعر به دائماً عندما تكون بقربه؟ كررت بحزم أقوى: «إنني بخير».

إنها لم تعد مراهقة كالسابق. لقد أصبحت امرأة ناضجة، وزوجة، والآن أصبحت أرملة. إذا استطاعت تحمل تلك التغيرات في حياتها، يمكنها وبدون شك تحمل قضاء أمسية برفقة ألونسو.

قالت بصوت عالٍ: «سأنضم إليكما ما إن أنتهي من عملي».

* * *

كانت صوفي تغطس يدها في فقاقيع الصابون عندما امتدت أمامها ذراع مغطاة بكنزة من الكشمير الأسود الجميل، والتقطت منشفة لتجفيف الصحون.

سألت وهي تستدير لتلمح ليون: «ما الذي تفعله؟».

رفع كمّيه إلى الأعلى وبدأ بتجفيف أحد الصحون التي كانت قد أصبحت نظيفة، وقال: «أساعدك على إنهاء هذا كله».

- عملك هذا لن يعجب الكونتيسة.

- لا تعرف الكونتيسة ماذا أفعل، تعتقد أنني ذهبت إلى المرحاض.

ابتسم لها، وبدت ابتسامته صبيانية، ما جعله أكثر شبها بليون الذي تتذكره في عطلتهم ذلك الصيف. شعرت صوفي بغصة في قلبها وقد عاودتها الذكريات، وعاودها الألم. قالت وهي تنظر إليه نظرة غامضة: «لم تتغير أبداً في الحقيقة».

- لا! وأنت لا تريدينني أن أتغير. والآن أعطني صحناً ثانياً.

مرة ثانية مدّ ذراعه أمامها فشعرت بموجة من الفرح. سألها ليون: «منذ متى وأنت تعيشين مع الكونتيسة؟».

شعرت بالتوتر فجأة في كل أنحاء جسمها، وأجابت بخشونة: «منذ ما يزيد قليلاً عن السنة. منذ أن أغلقت همفري هوسن».

قصر همفري هوسن هو المكان الذي أخذها كليف إليه وهي عروس. تابعت: «لم أستطع تحمل إعادة تأهيله وإصلاحه كما كان في السابق».

- وكيف تجدين العيش معها؟

- لا بأس به.

- لا بد أنكما منسجمتان لتتمكنا من العيش معاً طوال سنة بأكملها.

- لم يكن لدي أي خيار، أليس كذلك؟

رفعت كتفيها بلا مبالاة وتابعت: «كما أن الأمور تجري بطريقة جيدة، وأنا بخير. إنني محظوظة لأنها فتحت لي منزلها لأعيش فيه».

- لكن...؟

- ليس هناك من لكن، فإنكلترا ليست جنوب أميركا، ولن تكون أبداً

كذلك.

مدَّ يده ليجفف الصحن الأخير، وقال: «إذن ما زلت تفكرين بكولومبيا!».

ابتسمت وقالت بصوت منخفض: «طوال الوقت».

حدقت بالمياه المليئة بالرغوة لفترة طويلة، وتابعت: «كانت تلك الأيام أفضل سنوات عمري».

فكر ليون أن ذلك أمر واضح، فلقد كانت صوفي منبوذة في إيلمز هارت. كانت هناك فتاتان أخريان من أميركا في مدرسة النخبة الداخلية للفتيات، لكنهما كانتا ثريتين جداً، ولديهما الكثير من العلاقات والمعارف. أما صوفي فلم تكن تملك أي شيء من ذلك.

- ماذا تتذكرين عندما تفكرين بكولومبيا؟

- بيونفوتورا.

هناك أمضى الثلاثة، كليف، ليون وصوفي، العطلة المدرسية في منزل ويلكنز على الشاطىء. تمكن كليف من إقناع والده أن يدعو كلاً من ليون وصوفي لقضاء الصيف معه.

انتهت صوفي من غسل الصحون، فسحبت سدادة الماء من المغسلة، وقالت: «كانت عطلة رائعة، لا يمكن نسيانها».

شعر ليون بضيق في صدره؛ إنها تبدو حزينة جداً، ووحيدة أيضاً. أتراها تعلم كم هي وحيدة؟

قال باندفاع: «تعالي معي إلى بلادي لتمضية عطلة الميلاد هناك».

فكر أنها، بلا شك، ستكون أكثر سعادة وأكثر أماناً بقربه. إنه يحتاج إلى إبقائها بعيداً عن فدريكو. يحتاج إلى التأكد من أنها لن تقوم بأي عمل متهور أثناء العطلة.

- ستسر أمي كثيراً لرؤيتك. ستكون عطلة هادئة وجميلة...

قاطعته صوفي: «لا أستطيع ترك لويزا هنا بمفردها».

- يمكنها أن تأتي معنا.

- لن ترضى بذلك.

- هذا خيارها. لكن يجب أن لا تدعي خيارها يؤثر عليك.

ترددت قليلاً، وأصبحت تعابير وجهها أكثر حزناً.

- كيف هي أمك وبويد هذه الأيام؟

- يتعلمان كيف يعيشان بسلام.

- مضى على زواجهما أكثر من عشرين سنة.

- لزمها فترة طويلة من الوقت لتتوقف عن مقارنة بويد بأبي.

- مسكين بويد.

- كان يعلم أن أمي تزوجت به كردة فعل على مرورها بأزمة صعبة. ويعلم أن زواجهما لا علاقة له مطلقاً بالحب.

راح ليون يبتسم وهو يتكأ على الطاولة، لكن صوفي شعرت أنه يشكل تهديداً حقيقياً لها. تابع يقول: «أنت لم تحبي أمي يوماً، أليس كذلك؟».

تمنت صوفي لو أنهما لم يتحدثا مطلقاً عن هذا الموضوع. فهي لا تعرف كيف تخرج منه بدون الإحساس بالمهانة. فهي وليون يعرفان بعضهما جيداً، ومنذ فترة طويلة، لذا لا مجال للكذب بينهما.

قالت: «لم أستطع فهمها مطلقاً».

ضاقت عيناه قليلاً، وقال: «ما الذي صعب عليك أن تفهميه؟».

- زواجها من والدك.

ابتلعت صوفي غصة، فلقد سمعت بوضوح نبرة قاسية كالحديد في صوت ليون، وعلمت أنها ضغطت فعلاً على أعصابه.

- لا أستطيع أن أفهم كيف تمكنت من وضعك في كل ما مررت به. كنت مجرد طفل صغير.

- لقد أحبها وهي أيضاً أحبته.

- كان رجلاً متزوجاً! ماذا عن شعور زوجته وأطفاله؟ كيف يمكن لأمك ألا تشعر كم هو مؤذ بالنسبة إليك ألا ترى والدك إلا بين حين وآخر؟ ألا ترى والدك في أعياد الميلاد أو حتى في عيد ميلادك؟

www.elromancia.com

أصبح وجه ليون أكثر قسوة وهو يقول: «كان يرسل لي بطاقات المعايدة والهدايا».

شعرت بالغضب القوي يحرق أعصابها: «بطاقات المعايدة والهدايا.. وهل من المفترض أن تحل الهدايا مكان أب أناني وغائب دائماً، وأم حزينة ومكتئبة، ومنزل فارغ ومحطم».؟

- كانت تلك حياتها وقلبها...

- لا! كانت حياتك وقلبك أيضاً، فخياراتها أثرت عليك أيضاً!

- لا داعي لأن تحاكميها، فهي ليست بحاجة لأي كان لكي يحاكمها. يحق لها أن ترتكب الأخطاء، تماماً كما فعلت أنت.

- أية أخطاء؟

- ما زلت تلعبين دور النعامة، صوفي. أليس كذلك؟

قال ذلك وهو يرمي منشفة الصحون الرطبة على الطاولة، ويسير مبتعداً.

راقبته صوفي وهو يسير بعيداً، وشعرت كأن قلبها قد انقسم إلى جزأين.

كانا قريبين جداً من بعضهما في ما مضى. وكان ليون الشخص الأهم في حياتها... كيف وصلت الأمور بينهما إلى هنا؟ ولماذا أصبحت علاقتهما متشنجة؟ هل السبب هو زوجها كليف؟

ليتها تستطيع أن تضع حفلة لويزا وراءها! ليتها تستطيع منع لقاء ليون وفدريكو! ليتها تستطيع أن تستقل الطائرة وتتوجه مباشرة إلى البرازيل...

عليها الانتظار فقط لعدة أيام، عادت تذكر نفسها بذلك. قائلة لنفسها: تماسكي وكوني صبورة. ستصبحين في ساوباولو قبل أن تدركي ذلك.

تنفست صوفي بعمق، وشدّت كتفيها بقوة وهي ترفعهما إلى الوراء.

حان الوقت لمواجهة لويزا وألونسو ثانية.

* * *

قالت لويزا وهي تستدير لترى صوفي تدخل الغرفة: «آه! ها هي».

لم يحاول ليون النظر إلى عينيها، وبدلاً من ذلك نظر إلى ساعته وقال: «حان الوقت لأعود إلى لندن».

انحنى قليلاً ليعانق لويزا، ويتابع: «شكراً لك على هذه الأمسية الرائعة».

وضعت لويزا يدها على ذراعه وقالت: «أنا واثقة أننا سنحظى برؤيتك في الحفلة مساء السبت؟».

- لسوء الحظ، لدي ارتباطات منذ وقت سابق للدعوة، وهكذا لن أتمكن من الحضور.

- أمر مؤسف. دعت صوفي بعضاً من أصدقائها، وأنا متأكدة أنك كنت ستسعد بمعرفتهم.

- إنني متأكد من ذلك أيضاً.

ابتسم ليون، لكن ابتسامته لم تصل إلى عينيه. وتابع يقول: «ميلاد سعيد، لويزا».

سارت صوفي مع ليون عبر قاعة الاحتفال التي بدت كبيرة وفارغة الآن. لكنها ستتبدل تماماً خلال ثلاثة أيام، بعد وضع شجرة طويلة جداً في الزاوية، وأكاليل زهور على الأبواب وأغصان مليئة بالورود على النوافذ.

توقف ليون لينظر وراءه، وقال: «هل أعرف أحداً من ضيوفك؟».

اندفع الدم إلى خديها، وقالت: «لا أعتقد ذلك».

نظر إلى تعابير وجهها بإمعان للحظة طويلة، مليئة بالتوتر، وقال: «أنت تثيرين قلقي، صوفي».

أجبرت نفسها على الضحك وقالت: «أنت تصاب بالقلق؟ هيا ليون، أنت سوبرمان. والشيء الوحيد الذي تخاف منه هو غاز الكربتون!».

وسارت أمامه، باتجاه الباب الأمامي، وهي تشعر كأنها تسير على حبل مشدود.

إنها لا تستطيع السيطرة على عواطفها وهي بقرب ليون، كما أنها لا تستطيع نسيان الماضي. شعرت صوفي أن حياتها تكاد تصبح مستحيلة الآن. فمنذ وفاة كليف وهي تصارع بمفردها، وتشعر بالارتباك والتشتت. حدث أمر رهيب لزوجها في ساوباولو، وهي بحاجة لتعرف ما الذي حدث. عليها أن تفهم، وإلاّ فإنها لن تحصل أبداً على السلام والأمان، ولن تستطيع التخلص من حيرتها.

قالت، ما إن سمعت خطوات ليون وراءها: «أنا أفتقده، ليون. أفتقد كليف... أفتقد إحساسه المتفائل أبداً، وأكثر ما افتقده هو طريقة ضحكه. أحياناً لا أصدق أن سنتين فقط مرّتا على موته. تبدوان لي كعشر سنين».

إنها لا تستطيع تحمل ذلك، كما كانت دائماً. فموت كليف يثقل عليها ويعذبها. لطالما فكرت أن تلك كانت غلطتها. جاء موته كانتقام ما أو كعقاب على عمل قامت به.

وضع ليون يده على مقبض الباب المذهب، وقال: «كان ليكره أن تحبسي نفسك هنا في ملروز كورت. وكان ليحزن لتركك وليس لديك إلا القليل من المال، ما يضطرك إلى المكافحة بمفردك هكذا...».

قاطعته بخشونة، غير قادرة على سماع المزيد، وغير قادرة على رؤية نفسها بالطريقة التي يتحدث بها ليون عنها: «لم تكن تلك غلطته».

ليون لا يعرفها. ليون لا يعرف الحقيقة. لم تكن امرأة طيبة، ولم تكن الزوجة المحبة التي تظاهرت بأنها هي.

العقاب! إنه العقاب. لقد طلبت من كليف الطلاق قبل يوم واحد من وصول البرقية التي حملت نبأ وفاته. هل يمكن لأي عقاب أن يكون أسرع؟ وكأن القدر قال لها: «أتريدين أن تصبحي حرة، لايدي؟ أمنيتك ستتحقق، كوني حرة. أتريدين العيش بمفردك؟ فليكن لك ذلك!».

جزاؤها قتل كليف. وبقدر ما تهتم لآلونسو.. بقدر ما تشتاق إلى حنانه وقوته، وبقدر ما هي بحاجة إليه من الناحيتين العاطفية والعملية، فهي لا تستطيع الحصول عليه لأنها بذلك ستكافىء نفسها على أخطائها.

قال ليون بهدوء: «أعلم أنك تفتقدينه، لكن عليك السير قدماً لا العودة إلى الوراء».

شعرت بألم في حلقها، بسبب تلك الدموع التي لم تسمح لها بالانهمار. فهي لم تنسَ مطلقاً ذلك اليوم الذي تلقت فيه البرقية من القنصلية البريطانية في البرازيل، والتي قرأت فيها: «سيدة ويلكنز، يؤسفنا أن نخبرك...».

رفعت صوفي نظرها، وهي تهز برأسها. كان كليف في التاسعة والعشرين

من عمره. التاسعة والعشرين.. إنه يافع جداً على الموت.

- كيف لي أن أسير إلى الأمام وأنا لم أفهم بعد ما مضى؟ لم أفهم بعد كيف مات كليف، أو لماذا مات...

- كان في المكان غير المناسب في الوقت غير المناسب أيضاً.

ارتجفت وهي تتخيل اللحظات الأخيرة في حياة كليف. من الواضح أنه أصيب بالطلق الناري عن قرب.

- لكن لماذا؟ لماذا كان هناك؟ ما الذي جعله يذهب إلى تلك الناحية من ضاحية العاصمة في ذلك الوقت من الليل؟

أجاب ليون وهو يفتح الباب: «لا أعتقد أننا سنعرف الإجابة عن تلك الأسئلة يوماً».

قالت بصوت أبح: «لاأريد أن أتشاجر معك بعد الآن. أريد أن نعود أصدقاء كالسابق. وأنا آسفة على ما قلته لك قبل قليل. كما أنني آسفة لما قلته عن أمك، فأنا لا أكرهها. وأعلم أنها عاشت حياة قاسية وصعبة جداً».

رفع كتفيه بانزعاج وهو يقول: «كانت حياتها غير عادية أو مألوفة، لكن هذا ما أرادته، كما أنها تعلمت أن تعيش سعيدة».

نظرت صوفي إلى الأفق حيث الثلج الناعم يعكس ضوء القمر.

- يمكنك أن تتعلمي كيف تكونين سعيدة أنت أيضاً، صوفي. إنها فقط مسألة اختيار.

- أنت تبسط الأمور.

- إنها كذلك.

سحب ليون مفاتيح سيارته من جيبه، ثم سألها وهو يبتسم، محاولاً أن يخفف من حدة الموقف قليلاً: «أخبريني ما الذي سترتدينه في الحفلة؟».

نظرت إليه مستغربة وقالت: «ثوبي الأسود الرسمي».

- لم يكن كليف يحب أن يراك وأنت ترتدين اللون الأسود.

بالفعل كان كليف يكره اللون الأسود. فكل ما قدمه لها كان صارخاً في اللون، كالأصفر، والأحمر، والأزرق، والأخضر.

- اللون الأسود عملي.

- على الأقل، لم تقولي إنه يجعلني أبدو نحيلة.

اختفت ابتسامة ليون، وحدق بها للحظة طويلة معبرة. بدت نظراته مليئة بالتوتر والشوق، فشعرت بالحرارة تنتشر في أنحاء جسمها.

أخيراً، قال بهدوء: «فقدتك مرة من قبل، ولا أعتقد أنني سأرضى بخسارتك من جديد».

٣ - امرأة في خطر

مساء السبت استعدت صوفي للحفلة، ومع أنها قررت أن ترتدي فستانها الأسود، الذي ارتدته في العامين السابقين، إلا أنها عادت وسحبت الفستان الحريري الأحمر الزاهي من الخزانة.

عندما نزلت صوفي إلى قاعة الاحتفال قامت بمعاينة كل شيء لآخر مرة.

أمضت الساعة الأولى وهي تستقبل الضيوف على الباب الأمامي؛ تأخذ منهم المعاطف، وتتقبل الهدايا. وبشكل عام، فإن عملها الأساسي هو أن تجعل الضيوف يشعرون بأنهم موضع ترحيب لقضاء سهرة جميلة.

على الأقل، هذا ما كانت تقوم به حتى ظهر ليون وهو يحمل باقة من الزنبق الأبيض، ووضعها بين ذراعيها.

شهقت صوفي قائلة: «ما الذي تفعله هنا؟».

أصابتها الدهشة وهي ترى ألونسو ينزع معطفه الأسود الطويل عن كتفيه، لتبدو من تحته بدلة رسمية رائعة.

أجابها: «ألا تستطيع الكونتيسة استخدام شخص آخر للقيام بهذا العمل؟».

وانحنى قليلاً ليعانقها.

همست في أذنه: «لا تبدأ».

ضمها إليه لفترة أطول مما ينبغي، واقترب ليهمس في أذنها: «لم أبدأ بعد».

تردد رنين صوته في داخلها مليئاً بالوعود... حاولت أن تلتقط أنفاسها وقد سيطرت عليها موجة من العواطف والأحاسيس.

www.elromancia.com

إنه بالكاد عانقها، فكيف يمكن للمسة خفيفة أن تكون بهذه القوة؟ وكيف يمكن للمسة كنسمة على عنقها أن تجعلها تشعر بمثل هذا الانفعال والتوتر؟

شعرت بالامتنان لوصول بعض الضيوف الجدد، فعلى أحدهم أن ينقذها من آلونسو. في السابق كان ذلك عمل كليف، لكن لم يعد يمكنه أن يفعل ذلك الآن.

تابع النظر إليها، وضاقت عيناه وهو ينظر إلى أدق التفاصيل من فستانها الأحمر الأنيق. بدا الفستان متناسباً مع حذائها الأحمر، الذي يظهر من تحت حاشية الفستان. تأمل شعرها الطويل المعقود عند مؤخرة عنقها، والذي تدلّت خصلاته على كتفيها.

سألها بعد أن انتهى من النظر بإمعان إليها: «هل وصل أحد من أصدقائك».

أجابت صوفي بتوتر: «آه، لا! أنت أول قادم».

- أنا سعيد لأنني تمكنت من الحضور. وأنا حقاً أتطلع بشوق لمقابلة هؤلاء الأصدقاء الرائعين.

أصدقاء! حاولت ألاّ تبدو خائفة، فأصدقاؤها هم بالواقع واحد فقط، وهذا الشخص هو فدريكو ألفارو. بطريقة ما، شعرت أن ليون يعرف ذلك.

تابع يقول بإصرار وعناد: «هل هم الأصدقاء أنفسهم الذين ستذهبين برفقتهم إلى البرازيل؟».

شهقت صوفي بحدة. كيف عرف أنها ستذهب البرازيل؟ كيف يمكن له أن يعرف؟ هي لم تخبر أحداً... أي شخص آخر.. إلاّ فدريكو...

لم تترك عينا ليون وجهها للحظة. وقال: «لِمَ لا نذهب لنضع زهورك في الماء، صوفي؟».

- لا أستطيع، فما زال الضيوف يتوافدون...

قاطعها بلطف ونعومة: «بلى، تستطيعين. الضيوف كلهم بخير، فقط أنت عزيزتي من تثير قلقي».

تراجعت خطوة صغيرة إلى الوراء. لا يعجبها ليون عندما يكون كذلك. فهو يثير خوفها أكثر من السابق، كما أنه أكثر إخافة الآن.

- ما من سبب يجعلك تقلق.

- متى ستخبرينني عن خطتك لتمضية عطلة الأعياد، صوفي؟ أمْ أنك ستتسللين بعيداً مع فدريكو من دون أن تخبريني؟

شعرت وكأن الأرض قد انهارت تحت قدميها. منذ لحظة مضت كانت تشعر بالحرارة، أما الآن فهي تشعر كما لو أنها غمرت بالجليد. مرة ثانية أخذت الأفكار تتسارع وتدور في رأسها، وهي تتساءل كيف يمكن له أن يعرف مثل هذا الأمر؟ وكيف اكتشف ذلك؟

رأى ليون صوفي تبتلع غصة على مهل وباضطراب. لا بد أنها خائفة... عليها أن تشعر بالخوف حقاً... إذا سافرت مع فدريكو إلى ساوباولو، لا بد أن ميغال فالديز سينزع جلدها وهي حية.

همست: «ربما من الأفضل لنا أن نذهب إلى المكتبة».

- فكرة جيدة.

أغلق ليون الأبواب الزجاجية للمكتبة ما إن أصبحا في الداخل. وقال: «أريد أن أسمع كل شيء».

- ليس هناك الكثير لأقوله.

- المحكمة هي التي تقرر ذلك، عزيزتي.

حدقا ببعضهما عبر الغرفة الواسعة. كان ليون معجباً بنشاطها، فهي تظهر شجاعة لم تكن تملكها في السنوات الماضية. لكن ثقتها بنفسها ليست في موضعها الصحيح. فهي لا تعرف مطلقاً ما الذي تفعله، ولا تعرف مع من تتعامل.

حدقت به وقد عقدت أصابعها فوق بعضها البعض. تابع ليون قائلاً: «قدمت طلباً للحصول على تأشيرة دخول إلى البرازيل، وسمحت لفدريكو الفارو أن يشتري لك بطاقة السفر».

كانا قد حجزا للسفر في السادس والعشرين من كانون الأول. وفدريكو هو من قام بوضع خطة السفر، وهو من حجز البطاقات أيضاً.

- ما من سبب يمنعني من الذهاب في رحلة. فأنا لم أغادر البلاد منذ وفاة كليف.

- كليف مات في البرازيل.

نظرت إلى عينيه مباشرة، وقالت: «هل من أمر يجب أن أعرفه يتعلق بموته؟ أهناك شيء ما لم تخبرني به؟ لا سيّما أنك الشخص الوحيد الذي قام بالترتيبات لنقل جثمانه إلى بلادنا».

- ساعدت فقط في تسهيل معاملات الجنازة، لكن صديقك الغالي، فدريكو... هو من كان يعمل مع كليف في البرازيل. هل سألت فدريكو عن سبب وفاة زوجك؟ إني متأكد أن السنيور ألفارو لديه بعض التفاصيل المهمة بشأن ذلك.

- هو يعرف فعلاً أشخاصاً في ساوباولو قد يتمكنون من مساعدتي. كما أنه حصل على خدمات من تحرٍ خاص.

ابتسم ليون ابتسامة باهتة، وقال: «هل استأجر فدريكو خدمات تحرٍ خاص لأجلك؟».

رفعت ذقنها عالياً، وقالت: «ولمَ لا يفعل ذلك؟».

- لأنه شخص غير أهل للثقة. إنّه رجل خطر.

قالت بغضب وبسرعة: «وأنت، ألست كذلك؟».

لم تعد صوفي تستطيع السيطرة على أعصابها. فبإمكان ألونسو أن يكون مخيفاً تماماً كفدريكو، وربما أكثر منه.

صدر عنه صوت اشمئزاز قبل أن يقول: «حتى إنك لا تعرفين معنى كلمة خطر، عزيزتي. ألفارو يستغل وضعك جيداً، طالما أنه أخذ منك عشرة آلاف جنيه مقابل رحلة إلى البرازيل».

- نصف هذا المبلغ لتغطية نفقات السفر، والنصف الآخر من أجل التحري الخاص.

- لا تبلغ نفقات السفر إلى البرازيل خمسة آلاف جنيه. وإذا كنت بحاجة إلى شخص ليرافقك إلى هناك...

قاطعته بقوة: «هذه رحلتي أنا، وتلك الاتصالات قمت بها بمفردي. هذه خطتي، وأنت تعرف أنني معتادة على العيش في جنوب أميركا. وكما تعلم، أنا

لست جاهلة تماماً بمخاطر السفر. من جهة أخرى، ما هي قيمة العشرة آلاف جنيه إذا أعطتني السلام؟ عشرة آلاف جنيه هو مبلغ ضئيل لا يساوي شيئاً بالنسبة إليك. إنه تبادل لا قيمة له في عالمك».

- في عالمي!

ضحك ضحكة قصيرة، قبل أن يتابع قائلاً: «عالمي! لقد انقلبت الأوضاع بيننا، أليس كذلك؟ كم حدث من تغيرات في السنوات العشر الماضية!».

بقيت أصداء الموسيقى تنساب عبر الأبواب المغلقة للمكتبة، كذلك صدى الضحكات العالية. لا بد أن الضيوف يرقصون الآن، فحفلات الكونتيسة ويلكنز تسير بانتظام، كدقات الساعة.

قالت صوفي بحدة وقد ضمت ذراعيها إلى صدرها: «لا شك أنك كنت محظوظاً».

- لا علاقة للحظ مطلقاً بما حدث معي. إنه العمل!

رشف رشفة من شرابه قبل أن ينظر إليها، ويتابع: «العمل القاسي جداً».

سواء كان ذلك بسبب الحظ أو بسبب العمل المضني، فإن ليون يملك الملايين، ملايين من الأموال في المناجم الخام. فهو يملك أحد أكبر مناجم الزمرد في أميركا اللاتينية. وقد استغل بنجاح ما يكسبه من المناجم في استثمارات في التقنية العالية للتكنولوجيا، والأقمار الصناعية، وأقراص الكومبيوتر. وهكذا أصبح بإمكانه شراء بلاد صغيرة بماله النقدي. عدد كبير من الناس قد يدعون أنفسهم بأصحاب الملايين هذه الأيام من جراء عالم التكنولوجيا، لكن القليل فقط منهم يستطيع منافسة نجاح ألونسو الباهر.

رفع ليون أحد حاجبيه، بينما كانت عيناه تخترقانها بشدة. وسألها: «أخبريني، لو كنت بهذا الثراء منذ خمس سنوات، هل كنت لتتزوجين بي بدلاً من كليف؟».

شعرت بقلبها يسقط من صدرها، لكنها حاولت وبقوة أن تسيطر على طبعها. أجبرت نفسها على النظر بعيداً عن نظرته القوية الساخرة، لتنظر إلى الجرح الأبيض الرفيع الممتد من زاوية عينه إلى حافة خده.

www.elromancia.com

- لم أتزوج كليف من أجل ماله.

ضاقت عينا ليون عندزاويتيهما، لكنه لم يكن يضحك. وقال: «لم يكن يملك أي مبلغ من المال، أليس كذلك؟».

- من المفترض أنك كنت أفضل صديق لديه. كان يحبك جداً ويقدس الأرض التي تمشي عليها...

- وفري على نفسك تلك الأحاديث المتكلفة، عزيزتي. قد تكونين زوجة كليف، لكنني أعرفه أكثر مما تعرفينه. لم يكن رجلاً صالحاً، ولا يمكنه أن يكون كذلك.

يالله من رجل شرير! يا إلهي! شعرت صوفي بالكره نحوه على الفور، وقالت: «اخرج من هنا».

سارت بسرعة نحو البوابة المزدوجة، وثوبها الأحمر الطويل يصدر أصواتاً مع كل خطوة تسيرها، ثم فتحت باب المكتبة.

- سأقدم اعتذارك للكونتيسة. ستشعر بخيبة أمل لأنك أجبرت على المغادرة باكراً. لكن، وبكل أسف، طرأت عليك أعمال ملحة.

لم يتحرك ليون من مكانه بقرب المدفأة، وقال: «لا أعمال طارئة لدي».

- أريدك أن ترحل.

- أغلقي الباب، صوفي. أنت تثيرين الانتباه بعملك هذا.

- لن أتحملك وأنت تهين زوجي في منزله.

- هذا ليس منزله. إنه منزل والدته، تماماً كما كان همفري هاوس منزل والده. اعترفي بالأمر صوفي. ما كان كليف يملك شقة صغيرة من جراء عمله.

اصطبغ خداها باللون الأحمر، وشعرت بشجاعتها تسلب منها، وبتماسكها ينزلق من يديها. بحركة متوترة، ضغطت بيدها على معدتها، محاولة أن ترتب القماش الغالي، لكنها كانت تعمل جاهدة على إعادة السيطرة على الحوار بينهما.

ذكرت نفسها بقوة: هذا هو ألونسو البربري، السيء السمعة، الضائع،

الذي لم تتسنَّ له التربية الصالحة، فهو لم ينشأ مع والده الحقيقي ولا مع أمه، بل أُرسل إلى المدارس الداخلية مذ كان في الرابعة من عمره.

ومع ذلك، ومنذ عشر سنوات فقط، كان واحداً من أفضل صديقين لها، لطالما تحدثا بصراحة عن كل شيء؛ عن الحب والحياة، وعما سيحمله لهم المستقبل من مفاجآت وحوادث، ما يأملون بالحصول عليه في المستقبل.

حسناً، ها هو مستقبلهما أمامهما، وهو لا يشبه على الإطلاق تلك الأحلام التي تقاسماها معاً.

أخذت صوفي نفساً ضعيفاً ومؤلماً. وببطء، أغلقت أبواب المكتبة، محاولة أن تحصل على بعض الوقت.

ذكرت نفسها أن ليون لا يمكن أن يسبب لها الأذى. الإحساس السابق بالألم تحول إلى نوع من الخدر في كافة أنحاء جسمها... لا يمكن أن يسبب لها الأذى إذا لم تدعه يفعل ذلك.

- عليك أن تعتذر.

قال ليون مذعناً: «إني آسف، صوفي».

حلّ عقدة ربطة عنقه قليلاً، ليتمكن من فتح الزر الأعلى لقميصه الأبيض الحريري. بدا ساحراً جداً، وسيماً، ومحتالاً.

- إني آسف لأنني تشاجرت معك.

بحثت عيناها في وجهه، ولاحظت الخطوط الدقيقة التي تحيط بعينيه. إنه يتقدم في السن ويغدو أقسى وأكثر صلابة وقوة.

- كليف هو من تدين له بالاعتذار. وهو من أسأت إليه وأهنته.

- عزيزتي، كليف لا يستطيع سماع اعتذاري.

لِمَ يتوجب على ليون أن يفعل هذا؟ لِمَ عليه التصرف بهذه القسوة الواضحة؟ نعم، هي تعرف أنه أمضى طفولة قاسية وصعبة، إلا أنه ليس الوحيد. مع مرور الزمن تصبح هذه الأعذار قديمة، والإحساس بالتعاطف معه لا قيمة له. على المرء أن يكبر دوماً، وأن يتحمل مسؤولياته.

قالت: «لا أستطيع احترام شخص مثلك».

www.elromancia.com

ضحك بخشونة وقال: «ومع ذلك ستطلبين مساعدتي، في أي وقت تسوء فيه الأمور».

ازداد توتر صوفي وشعرت بأعصابها تصرخ، وبرأسها يضج كالعاصفة. علمت أن سيطرتها على نفسها تكاد تنهار بشكل كامل. قالت لنفسها: فقط، ابتعدي عنه. دعيه وشأنه، وسيتمكن من المغادرة حينها.

لكنها لا تستطيع أن تتجاهل ليون. وبدلاً من أن تمشي مبتعدة عنه، سارت باتجاهه، مشدودة العضلات وهي ترتجف، مضطربة العواطف.

- ربما طلبت مساعدتك لمرة واحدة عندما...

قاطعها على الفور: «مرة واحدة صوفي؟ بل أكثر من مرة».

ارتجفت من لهجته الساخرة: «في كل مرة كنت أطلب مساعدتك، كنت أفعل ذلك من أجل كليف».

بعد مرور سنتين على زواجهما اندلعت الحرب في أحد بلدان العالم الثالث، وكان كليف في ذلك البلد. فعمدت السلطة الحاكمة إلى إقفال المطار الصغير، محتجزة كليف في وسط الفوضى والاهتياج الكبير.

رفعت ذقنها مدافعة عن نفسها: «ما كنت لأسمح بفقدان كليف».

حدقت بليون وقلبها يحترق، والغضب يملأ صدرها. تمكن كليف من الاتصال بها بعد يوم واحد من إغلاق المطار، وبينما كان يتكلم كل ما كانت تسمعه هو أزيز الرصاص من وراء صوته. يومها، اتصل بها ليودعها، لكن صوفي رفضت أن تتقبل الهزيمة، رفضت أن تفكر أن زواجها سينتهي بهذه الطريقة الشائنة.

لذلك عملت جاهدة على اقتفاء آثار آلونسو، مع أن سنوات مرّت على آخر مرة رأته فيها. مع ذلك، وافق على مساعدتها، وقال إنه سيفعل كل ما يستطيعه.

لم تسأله صوفي ابداً ماذا يعني بذلك، لكنها علمت أنه سينقذ كليف. علمت أنه بشجاعته، وبسبب انتشار أعماله في مختلف البلدان، وكثرة معارفه واتصالاته، سيتمكن من القيام بما لا يستطيع معظم الناس القيام به. وهذا ما فعله. لقد أنقذ، ليس فقط كليف، بل أيضاً أربعين شخصاً يحملون جنسيات

أوروبية وأوسترالية من داخل الصراع الدامي، وأعادهم إلى بلادهم سالمين.

قال ليون بنعومة: «لكن تلك لم تكن المرة الوحيدة. أخبريني صوفي، متى قلت لك لا؟».

أغمضت عينيها اعترافاً منها بما قاله، ولشعورها بالانهزام. فمنذ أربعة وعشرين شهراً مضت ظهر ليون من جديد عندما توفي كليف في البرازيل. اهتم ليون بكل شيء، من إعادة جثمان كليف إلى إنكلترا إلى سحق كل الشائعات التي دارت حول وفاة كليف. يومها ادعت مصادر غير رسمية أن اللورد كليف ويلكنز تورط بأعمال مشبوهة في جنوب أميركا، فعمل ليون على القضاء على تلك الشائعات في مهدها.

سيطر عليها إحساس قوي ومؤلم، هو مزيج من الحب والإعجاب. بدا لها ضخماً جداً، وبذلته الرسمية لم تتمكن من إخفاء طول قامته أو قوته الواضحة: «العملاق» هذا ما همس به كليف يوماً لها وهو يسخر من حجم وقوة آلونسو. وأضافت هي ضاحكة: «سبارتاكوس».

كانت تشعر بالأمان مع كليف وبأنها محمية من كل شيء.

ساد جو من التوتر في الغرفة. بإمكان ليون أن يكون قاسياً جداً. هي تعرف الحدود التي قد يصل إليها.

إنه يعلم ما الذي يريده ويحصل دائماً على ما يريده. ولهذا السبب بالتحديد لم تتزوج ليون. لهذا السبب بالتحديد هربت إلى كليف وإلى عائلة ويلكنز.

لم يكن ليون يوماً رجلاً عادياً. لم يكن يشبه يوماً سواه من الرجال. لطالما بدا متطلباً، بدائياً، ولا يمكن مقارنته بأحد. ليون يفعل دائماً ما يسعده، وما يريده، ويتوقع من أي شخص آخر أن يفعل تماماً ما يطلبه منه.

قالت بعصبية، متمسكة بآخر ما لديها من كبرياء: «عليَّ أن أذهب لرؤية الضيوف. وطالما أنك مصمم على البقاء، أتمنى أن تستمتع بالسهرة. وعندما ترغب في الرحيل، يمكنك المغادرة ساعة تشاء».

خرج ليون من المكتبة، عبر الأبواب الزجاجية الكبيرة، مدركاً أنها لا زالت تراقبه.

لوى شفتيه متعجباً من استخفاف صوفي به، على الرغم من مرور كل تلك السنوات. وهذا ما جعله يدرك أن معرفتها الحقيقية به ما زالت سطحية جداً.

عندما تقدم كليف لصوفي طالباً الزواج منها، تراجع ليون مبتعداً، متخلياً عنها ومحاولاً بكل ما يستطيعه أن ينسى أنه أحبها يوماً. لكن كليف رحل الآن، ولم يعد يقف عقبة بينهما.

استدار ألكونسو عند مدخل القاعة الكبيرة، وسار عبر الحشود المزدحمة عند مدخل غرفة الرقص. وعبر النوافذ الطويلة المقوسة كان ضوء القمر الفضي ينساب على الأواني الأثرية المليئة بأزهار التوليب الفرنسية. شعر بألم بسبب الإحساس بالحنين، وتمنى لو أن الإيرل السابق موجود هنا.

لمدة تقارب الخمسة عشر سنة تسلم الإيرل فروع إدارة بنك إنكلترا في أميركا اللاتينية، لذلك كان على عائلة ويلكنز أن تعيش في عدة بلدان في جنوب أميركا، مثل الأكوادور وكولومبيا والبرازيل. وقد كرهت الكونتيسة تلك البلاد. وعندما تقاعد الإيرل، تاركاً مركزه المهم في بنك إنكلترا، عادت عائلة ويلكنز إلى انكلترا وتمكنت الكونتيسة ويلكنز من الإقدام بفرح على شراء كل شيء إنكليزي الصنع وباهظ الثمن.

إلا أن أفكاره كانت مع صوفي التي ظهرت على مدخل غرفة الرقص بثوبها الأحمر الفاتن، لكنها لم تكن بمفردها. فدريكو ألفارو كان بقربها. تماماً كما قال له.

هذا يعني أن صوفي، وبدون أي شك، في خطر كبير.

كان ألفارو قد اتصل هاتفياً بألكونسو ليلة البارحة، وقال له: «سمعت أنك رجعت إلى إنكلترا وأنك ذهبت في زيارة إلى مالروز كورت. هل استمتعت بعشائك مع اللايدي والكونتيسة ويلكنز؟».

لا بد أن هناك جواسيس لدى ألفارو، أو أنه شخصياً يتبع صوفي. وفي الحالتين، علم ليون أن عليه البقاء قريباً منها. فهو لن يسمح لألفارو أن يسبب الأذى لصوفي كما فعل لكليف.

قال ليون وهو يسيطر على أعصابه بشدة: «ابق بعيداً عنها».

أجاب فدريكو بسخرية: «ما زلت تشعر بالغيرة؟ كنت دائماً تغار من اللورد ويلكنز. والآن، أنت تغار مني».

- أنا لا أشعر بالغيرة منك. فأنا أعلم من أنت، ومن تكون..

قاطعه فدريكو بنعومة، وقد اختفى أي أثر للضحك من صوته: «كن حذراً، فأنا أعلم أنك لا تريدها أن تصاب بأي أذى».

- ما الذي تريده؟

- أريدك أن تأتي إلى حفلة عائلة ويلكنز. فربما قد أخبرك ما أريده.

شعر ليون بكره شديد نحوه، وسأله: «أنت مدعو إلى الاحتفال؟».

- بالطبع، فأنا الضيف المميز بالنسبة إلى اللايدي ويلكنز.

ضحك فدريكو مرة ثانية، ضحكة قصيرة جافة، وأنهى الاتصال.

www.elromancia.com

٤ .... وبدأت من النهاية

صرّ ألونسو على أسنانه بقوة وهو يراقب فدريكو وصوفي يسيران عبر قاعة الاحتفال. كانت يد فدريكو تحيط بخصر صوفي، ورأسه ذا الشعر الأسود منحنٍ قليلاً، وكأنه يصغي باهتمام إلى كل كلمة تقولها. كاد ليون يفقد صبره؛ سوف يقتل ألفارو إذا استمر بوضع يده على صوفي.

في الناحية الثانية من القاعة، كانت صوفي تشعر باضطراب شديد. فدريكو لم يبعد يده عنها منذ أن وصل قبل نصف ساعة. كانت تشعر بالضيق في كل مرة يلمسها بيده. أرادت أن تبعد يده بقوة، وتطلب منه أن يبقى بعيداً عنها لكنها لا تستطيع أن تغضبه، فهو جواز مرورها إلى البرازيل، وذلك بالمعنى الحقيقي للكلمة. وهي تعلم أن لديه معلومات كاملة عن وفاة كليف.

قالت لنفسها، التزمي الهدوء. لا تدعيه يشعر أنك منزعجة. لن يطول الوقت حتى تصبحي في البرازيل.

في اللحظة التي وصلت فيها، وهي وفدريكو، قرب شجرة الميلاد، ظهر ألونسو إلى جانبهما.

قال ألونسو وهو ينحني أمام صوفي: «حفلة رائعة، صوفي».

ثم استدار لينظر مباشرة إلى عيني فدريكو، وهو يقول: «تفاجئني رؤيتك هنا. لم أعتقد يوماً أنك مناسب لمثل هذه الحفلات».

تأمل فدريكو ليون من أعلى رأسه إلى أخمص قدميه، وقال وهو يمد يده مسلماً عليه: «لا أعتقد أننا تقابلنا من قبل. اسمي فدريكو ألفارو».

لم يتقابلا من قبل؟ كاد ليون أن يلوي شفتيه اشمئزازاً منه. آه، لقد تقابلا! وفي الحقيقة، تقابلا عدة مرات أيضاً، وفي آخر مرة عبر ماسورة بندقية.

قال ليون: «لقد تقابلنا كثيراً وجرى بيننا العديد من المناقشات».

هزّ فدريكو رأسه: «لا أعتقد ذلك. لا بد أنك تظنني شخصاً آخر. فنحن سكان أميركا الجنوبية متشابهون بالنسبة إلى الشعب الإنكليزي».

حاول ليون بقوة أن يسيطر على الرغبة التي تدفعه إلى الإمساك بألفارو من حلقه، وتمزيق أوصاله إرباً إرباً.

وبدلاً من القيام بذلك، سأله: «وما الذي دفعك إلى المجيء إلى إنكلترا؟».

أجاب فدريكو وهو يبتسم: «الرغبة في التسوق في موسم الأعياد، والحصول على فرصة لمرافقة اللايدي ويلكنز إلى ساو باولو لقضاء ليلة رأس السنة هناك».

رمق صوفي بنظرة دافئة، قبل أن يتابع: «سنحظى برحلة رائعة، أليس كذلك؟».

شحب وجه صوفي، وقالت على الفور: «ستكون فرصة مناسبة لأرى أين كان يعمل كليف».

أصبح صوتها أكثر توتراً وهي تتابع: «إن السيد ألفارو شخص لطيف، لأنه أمّن لي خدمات تحر خاص ماهر جداً».

صرّ ليون أسنانه ببعضها. وقال: «كم هو لطيف!».

وبسرعة، مدّ يده وأمسك بيد صوفي، وتابع: «هل لي بكلمة معك على انفراد، عزيزتي؟».

لم ينتظر جوابها. ولأنه ممسك بيدها، تمكن من شدها بقوة لتتبعه. شعر بأصابعها الباردة تتشنج معترضة على اللحاق به خارجاً. مرّا عبر قاعة الخدم، ونزلا إلى المطبخ.

همست صوفي قائلة: «إلى أين سنذهب؟».

- إلى أي مكان نستطيع فيه التحدث.

- اعتقدت أننا تحدثنا بكل ما نستطيع التحدث عنه.

كان المطبخ مليئاً بالعمال وبمتعهدي الطعام، لكن ليون وجد لها كرسياً قرب الطاولة الضخمة، في زاوية الغرفة، قرب المدفأة الحجرية.

- أنت مجنونة إن فكرت حتى بالذهاب مع ألفارو إلى متاجر هارودز، فكيف تفكرين برحلة معه إلى البرازيل؟ إنه اسوأ خبر سمعته صوفي. حتى إنه لا يبعد يديه عنك.

- أنت لا تملكني.

- أنا لا أريد أن أملكك، أريد فقط أن تكوني بأمان.

وهذا يعني أنها ليست بأمان قرب فدريكو. لكن هل ستكون أكثر أماناً إن كانت بقرب آلونسو؟

- إنه متورط بالمخدرات، صوفي. مخدرات حقيقية وخطرة جداً.

سألته: «وكيف تعرف؟».

أدركت شدة قربه منها، وقوة عضلاته، ودفء جسمه. لفت يديها حول فنجان القهوة الذي وضع أمامها، وسألته: «وما الذي يفعله بتلك المخدرات؟ يهربها؟».

رأت عيناه تنظران إليها بضيق واضح، وحزرت ما الذي يفكر فيه. شعر ليون بشفتيه تتحركان بعصبية، كان ممزقاً بين السخرية منها والقلق عليها.

- صوفي، إذا أردت الذهاب إلى البرازيل، دعيني آخذك. فأنا أعرف البرازيل جيداً، وهناك أماكن آمنة نستطيع البقاء فيها. لدي أصدقاء سيهتمون بك ويرافقونك.

أخفضت صوفي بصرها ورأى ليون كم تحاول جاهدة السيطرة على انفعالاتها. رأى الغضب والألم يلمعان على ملامح وجهها الجميل بشكل متواصل. لكن بعدئذ، رفعت رأسها وحدقت إليه ببرودة، وبدت عيناها أكثر التماعاً بسبب ألسنة النار. وقالت: «أقدر كثيراً اهتمامك، آلونسو، حقاً. لكن هذا شيء يجب عليَّ أن أفعله، على طريقتي».

- لماذا؟

هزت رأسها، وأخذت العواطف المؤلمة تظهر على وجهها واحدة تلو الأخرى.

- قمت بعمل بغيض جداً، ليون. حتى إنني لا أستطيع اخبارك به.

كاد قلبه يتوقف عن الخفقان، وتحول جسمه إلى تمثال من حجر. تمنى ألاّ تكون متورطة مع فالدز، وألاّ تكون مشتركة بالأعمال القذرة التي قام بها كليف. أجبر نفسه على البقاء قوياً. حتى لو فعلت شيئاً رديئاً، لن يرضى بأن يخسرها.

- لا شيء يحدث لا يمكن إصلاحه.

- من الأفضل أن أعود إلى الضيوف.

قال بمرارة: «إلى فدريكو».

بدا الحزن على وجهها: «عليك أن تتوقف عن هذه التصرفات، ليون، عملك هذا سيبعدني عنك أكثر».

أطلق ليون شتيمة قبل أن يقول: «تباً، صوفي! لِمَ أنت عمياء هكذا؟ لِمَ لا تستطيعين رؤية ما هو واضح جداً أمامك؟».

ابتلعت غصة بصعوبة، وتحرك ثوبها الأحمر الحريري على صدرها، مع أنفاسها الضيقة. وقالت: «عليك أن تثق بي، ليون».

شعر بأنفاسه تضيق في صدره من الغضب والشوق إليها. قال: «لا، أنت من عليه الثقة بي. هناك أشياء أعرفها، صوفي، وأنت لا تعرفينها مطلقاً. وأماكن كنت فيها لا تستطيعين حتى تخيلها. لا تذهبي بالطائرة مع ألفارو. لا تسمحي له بوضع خطط لتسافري معه. إن كنت تريدين الذهاب إلى البرازيل...».

فجأة، اقتربت منه صوفي، وعانقته عناقاً سريعاً، ثم همست: «شكراً لك لأنك ما زلت تهتم بي، ولأنك تريد الأفضل لي. إني أقدر ذلك كثيراً... أكثر مما تظن».

راقبها ليون وهي تغادر المطبخ. أما هو فبقي واقفاً في مكانه، يقاوم الرغبة القوية في اللحاق بها، وهو يشعر بالخوف عليها منذ الآن.

يا إلهي! إنها لا تزال بريئة جداً، ولا تدرك أن هناك أشخاصاً خطرين

www.elromancia.com

جداً . . لا فكرة لديها مطلقاً كم كان عالم كليف مظلماً وسيئاً . كيف يمكن أن يحميها من الحقيقة حول كليف؟ وكيف يمكن أن يحميها من فالدز ومن ألفارو . . ومن نفسه؟

من يعتقد نفسه بحق السماء؟ عندها سمع صدى صوت صوفي يضج في رأسه : «أنت تشبه سوبرمان، ليون».

هل هو حقاً سوبرمان؟

في المدخل الكبير، وقف فدريكو بانتظارها، بينما كانت صوفي تودع بعض الضيوف. وما إن أغلق الباب وراءهم، حتى أمسك فدريكو بمرفقها.

– ما الذي قاله لك؟

تنهدت صوفي. أصبحت الأمور أشد تعقيداً. أجابته: «لا يريدني أن أذهب معك».

نظر فدريكو إلى وجهها وقال: «ولمَ لا؟».

ابتلعت غصة وهي تقول: «يعتقد أنَ من الأفضل لي أن أسافر برفقته. يقول إن لديه أصدقاء في البرازيل».

– نعم. لكن أي نوع من الأصدقاء؟

وضع فدريكو يديه على كتفيها. إنه أقصر من آلونسو، وما إن أحنى رأسه قليلاً حتى نظر بسهولة إلى عينيها. تابع يقول: «إني متأكد أن أصدقاءه لن يعرفوا ما يعرفه الرجل الذي اتصلت به في ساوباولو. وهم لا يعرفون بالطبع المعلومات التي تريدينها».

هزَّت رأسها بقلق. فكل ما تريده هو أن تصعد إلى الطابق العلوي، لتتمكن من نزع هذا الثوب الأحمر، ولترتدي أي شيء مريح ودافىء.

– إن كنت قلقة بشأن مضايقته لك باستمرار، يمكننا المغادرة في الصباح الباكر. هناك طائرة ستقلع إلى ساوباولو عند السادسة صباحاً. ليس علينا الانتظار لفترة ما بعد الأعياد.

رفعت رأسها، ونظرت إليه: «لكن . . . لم أوضب حقيبتي».

– يمكنك الصعود إلى غرفتك بعد قليل لتنهي ترتيب حاجاتك. وسأعود

لاصحابك عند الساعة الرابعة فجراً. سنستقل أول طائرة مغادرة في الصباح الباكر.

– هل تعتقد أن ذلك أفضل؟

– هذا ما أعتقد. كما أن بطاقتينا هما للدرجة الأولى، ولن تكون هناك أي مشكلة إن قدمنا سفرنا لعدة أيام فقط، لا سيما أن تأشيرة الدخول معنا أيضاً.

رأت آلونسو يظهر عند مدخل الباب. وقد ضاقت عيناه وهو يرمقهما. لن تتمكن من إبعاد ليون عن حياتها، وهو لن يسمح لها بمغادرة البلاد بدون أن يقحم نفسه معها في الطائرة نفسها. بسرعة اتخذت قرارها . .

– لنقم بتلك الرحلة. هذا ما سنفعله في الصباح الباكر.

* * *

قاد ليون سيارته، بعد مغادرته الحفلة إلى منزله، وهو يشعر بضيق كبير لأنه ترك صوفي في ملزور كورت.

يجب أن يبقيها تحت المراقبة طوال الأربع والعشرين ساعة في اليوم خلال سبعة أيام في الأسبوع. لو كان باستطاعته، لأحضرها معه إلى المنزل هذه الليلة، بثوبها الأحمر الجريء، وبكل ما لديها من جمال. ستكون أكثر أماناً معه.

حسناً، ستكون معه. لكن مسألة الأمان هي أمر يحتاج إلى التفكير. فهو لا يزال يريدها وهي لم تتخلَ عنه نهائياً. لا، لم تنسه مطلقاً!

لكنها تبدو متوترة وشديدة الانفعال بقربه. شيء ما يثير قلقها، وهذا الشيء له علاقة بكليف وفدريكو والبرازيل . . .

أوقف ليون سيارته في الموقف، وجلس هناك يفكر بينما كانت أضواء السيارة تسطع على الجدار. لا بد أنه يغفل عن شيء ما. شيء ما بالتحديد، وهو أمام أنفه، لكنه مع ذلك لا يدركه. تنهد ليون من أعماق صدره وهو يشعر بالاحباط. شعر كأنه يتلمس طريقه في الظلام، وهو يكره الإحساس بالغباء.

لا تستطيع صوفي أن تصل إلى فدريكو ألفارو بمفردها. لا بد أنه هو من سعى إليها، لكن لماذا يفعل ألفارو ذلك؟

أطفأ ليون محرك السيارة، وبحركة تنم عن فقدان الصبر أخذ ... أصابعه

www.elromancia.com

على عجلة القيادة. لم يكن ألفارو متحفظاً بشأن اتصاله بصوفي. ما إن توصل إلى هذا الاستنتاج حتى شعر ببدنه يقشعر.

لماذا يسعى ألفارو، وهو ملاحق ومطلوب من قبل السلطات في قارات عدة، للقاء صوفي علناً، راغباً في التقرب منها والخروج برفقتها؟ لا شك أنه يعلم أنهما مراقبان. كما يعلم أن لقاءه مع اللايدي ويلكنز، زوجة الرجل الذي اتهم بخيانته لبلاده، ستثير حوله شكوكاً هائلة!

السبب الحقيقي هو أن فدريكو ألفارو يريد أن يجذب الانتباه إليه، ويريد من الشرطة السرية أن تعرف بذلك.

وبالتحديد، هو يريد أن تصل هذه الأخبار إلى ليون. وما هي الطريقة الأفضل لإثارة اهتمام البوليس وإثارة اهتمام ليون إلا التسلل إلى ساحة ليون والتودد إلى امرأته؟

دخل ليون إلى منزله، خلع عنه بذلته الرسمية، ودخل إلى غرفة الحمام ليستحم. محاولاً أن يستوضح أفكاره، وأن يفهم حقيقة ما يجري أمامه.

عليه أن يضع تصوراً كاملاً للموضوع قبل أن تصبح صوفي في الطائرة التي تقلها إلى ساوباولو. لأن البرازيل ستكون كارثة فعلية، ليس فقط بالنسبة إليها، بل أيضاً بالنسبة إليه.

كانت تلك الليلة كحمام من الدماء. هذا ما حدث في ساوباولو. قتل ستة رجال هم كليف وعميلان للمملكة البريطانية وثلاثة رجال يعملون لدى ميغال فالديز، أحدهم هو شقيقه الأصغر. وحده ليون تمكن من النجاة. حسناً كلمة نجاة لا تناسب تماماً ما حدث له. لقد تم نقله بسرعة إلى طائرة مروحية طبية أقلته إلى أقرب غرفة عمليات. كان لا يزال في المستشفى عندما اتصلت به صوفي تسأله المساعدة.

على رغم من أنه كان مصاباً بالدوار، ولا يستطيع الوقوف بثبات على قدميه، تمكن من الخروج من المستشفى، وعاد إلى إنكلترا لحضور جنازة كليف.

لم تعرف صوفي مطلقاً أنه أصيب. فهو لم يذكر إصابته ولا الألم الذي كان يشعر به. وعندما انهار في وقت متأخر في تلك الليلة وأعيد سريعاً إلى غرفة

الجراحة بسبب نزيف داخلي، أصر على ألا يخبرها أحد بما حدث له. فلديها ما يكفي من الأمور لتحزن وتقلق بشأنها، وليست بحاجة إلى مزيد من القلق بشأنه.

كان ليون مستغرقاً في النوم، يحلم بما حدث في تلك الليلة في ساوباولو، عندما بدأ جهاز الكومبيوتر في الغرفة المجاورة يصدر أصواتاً وهو يطبع صفحة تلو الأخرى.

جلس آلونسو على الفور، وأمسك بساعته بقوة. إنها السادسة صباحاً. علم أن هذا الصوت هو من الجهاز التابع للمركز العالمي للاستخبارات، والذي وضعه بنفسه داخل هاتف صوفي النقال في تلك الليلة التي تناول العشاء فيها في مالروز كورت.

أعلمه جهاز الكومبيوتر أن صوفي غادرت للتو إنكلترا. في تمام الساعة الخامسة والنصف صباحاً، استقلت صوفي مع فدريكو إحدى طائرات الشركة الجوية البريطانية إلى ساوباولو. وعند الساعة السادسة غادرت طائرة البوينغ أرض المطار.

* * *

بينما كانت طائرة البوينغ الضخمة ترتفع في السماء بسرعة، جلست صوفي باسترخاء على كرسيها، وحاولت جاهدة أن تهدىء أعصابها المتعبة.

في غضون ساعات قليلة ستستيقظ لويزا لتجد الملاحظة التي تركتها لها، والتي تعلمها أنها ذهبت مع أصدقائها لقضاء عطلة الميلاد برفقتهم. من المحتم أن يتصل ليون أثناء النهار بمالروز كورت ليسأل عنها. في ذلك الوقت، حين يتصل ويكتشف أنها رحلت، لن يكون هناك ما يستطيع القيام به.

بعد مرور عشر ساعات خرجت صوفي برفقة فدريكو من قسم الجمارك في ساوباولو، واستقلا سيارة أجرة للوصول إلى فندقهما.

عندما وصلا استقبلهما صاحب الفندق بنفسه. قال لصوفي وهو ينحني ليقبل يدها: «حجزنا غرفة جميلة لك، سيدتي، في أحد أفضل الأجنحة لدينا».

بدا جناح صوفي الأبيض، بمفروشاته وستائره البيضاء اللون، فخماً جداً بالفعل. أما اللون الوحيد الإضافي، الموجود في الغرفة فهو لون جلد الحمار

www.elromancia.com

الوحشي على الأرض، بالإضافة إلى زهرية طويلة حمراء اللون وضعت على طاولة صغيرة. وقد امتلأت بالورود وبأزهار التوليب والأقحوان وجميعها حمراء اللون.

كان جناح فدريكو مجاوراً لجناحها، لذا ذهب إليهابعد عدة دقائق من مغادرة رئيس الخدم، ليرى إن كانت جاهزة للخروج برفقته لاكتشاف المدينة.

الخروج الآن؟ هذا أمر مستحيل بالنسبة إليها. أجابته بأنها مرهقة وبحاجة إلى النوم أولاً، وأخذ قسط من الراحة.

قال فدريكو: «أنت لا تستطيعين النوم الآن».

وسار عبر الغرفة ليفتح الستائر البيضاء.

- إنه وقت الصباح هنا. عليك أن تتأقلمي مع اختلاف الوقت، وأفضل طريقة للقيام بذلك هو الاستمرار بالحركة. لدينا يوم مليء بالعمل، كما أن السنيور شيبي، التحري الذي استخدمته. سيوافينا إلى الصالة في الطابق الأرضي في غضون عدة دقائق.

كان السنيور شيبي رجلاً بديناً، قصير القامة استقبلهما بابتسامة كبيرة حارة، وسلّم عليها بطريقة ودية.

سار برفقتها ورفقة فدريكو إلى الخارج حيث أشعة شمس الصيف المشرقة تملأ المكان. ومع أن الوقت لم يتعدَ منتصف الصباح، كانت الحرارة ترتفع بسرعة.

رأت صوفي سيارة سوداء بانتظارهم أمام الفندق. جلس السنيور شيبي وراء المقود، وجلست صوفي مع فدريكو في المقعد الخلفي.

سألت وهي تنحني إلى الأمام محدثة السنيور شيبي: «هل قابلت يوماً زوجي؟».

- لا.

وانطلق بالسيارة مبتعداً عن الموقف وهو يتابع: «لكنني سمعت عنه. وأعلم أنه كان يعمل في مصرف إنكلترا، في فرع أميركا اللاتينية. وأنه كان مسؤولاً عن حسابات الحكومة والمؤسسات الاجتماعية في البرازيل».

حرّكت صوفي أصابعها وضغطت عليها بشدة، ثم قالت: «الأشخاص

الذين سأقابلهم في رحلتي... هل يعمل أحدهم في بنك إنكلترا؟».

- لا.

- ألا تعتقد أنه يجدر بنا أن نقابل أشخاصاً لهم علاقة بالمصرف؟

التفت السنيور شيبي إلى الوراء، وقال: «أعتقد أن هؤلاء الأشخاص سيقدمون لك المعلومات التي تريدينها سنيورا».

كانت حركة السير مزدحمة جداً عند الثامنة صباحاً، ما جعلهم يمضون أكثر من نصف ساعة قبل أن يتمكنوا من العبور من شوارع العاصمة الكبيرة للوصول إلى ضواحي ساوباولو. في إحدى تلك الضواحي أوقف السنيور شيبي سيارته في مطار صغير.

سألت صوفي عندما نزع مفاتيح السيارة: «هل سنقل أحداً ما معنا؟».

أجاب فدريكو وهو ينظر إلى ساعته: «سنستقل طائرة إلى شلالات آغوزو».

- لكننا لا نملك أية أمتعة.

- لن تحتاجي إلى الأمتعة، صوفي.

قالت: «ما الذي سنفعله هناك؟».

ابتسم فدريكو وهو يساعدها لتخرج من السيارة، وقال: «آغوزو هي المكان الذي بدأت فيه القصة».

لكن فدريكو كان مخطئاً، مخطئاً حقاً! هذا ما اكتشفته بعد ساعات فآغوزو لم تكن البداية، بل النهاية.

www.elromancia.com

٥ - أسيرة الغابة

جثمت صوفي [illegible] في زاوية الكوخ لعدة ساعات، وهي تعاني أسوأ كابوس عاشته في حياتها. راحت تضغط بقوة على هاتفها النقال، وتقول لنفسها: «أجب.. أجب، آلونسو. عليك أن تكون موجوداً.. عليك أن تجيب».

لكن ليون لم يرفع هاتفه، ولم تسمع إلا صوت المجيب الآلي. أنهت صوفي الاتصال وهي تشعر بقطرات من العرق تتصبب على ظهرها وصدرها، وتحت شعرها الكثيف. ومع ذلك شعرت أنها متجمدة وباردة كالثلج في داخلها.

عاودت الاتصال به ثانية، متجاهلة لسعة حشرة طائرة وهي تقف على ذراعها العارية الوسخة. فالمناطق شبه الاستوائية مليئة بالحشرات، وهي لا تحب الحشرات أبداً، ولا تحب الأدغال.

آه! لماذا؟ آه لماذا جاءت إلى هنا الآن؟ ركزت على الاتصال بين يديها... أخيراً تم الاتصال، فسمعت رنين الهاتف لمرات عدة وسمعت صوت ليون على المجيب الآلي مرة ثانية. لم تقفل الخط هذه المرة، بل قالت: «ليون، هذه أنا، صوفي. أنا في ورطة.. ورطة كبيرة...».

توقفت عن الكلام عندما سمعت صراخاً في الخارج. أحدهم قادم إليها.

تجمدت صوفي في مكانها. وللحظة، شعرت كأنها مصنوعة من الحجارة. بقيت بدون حركة وهي تحاول بكل قوتها أن تسمع كل همسة، وكل صوت. لفّتها الحرارة الرطبة وأحست بالخوف في مختلف أنحاء جسمها. لم تكن مرة حواسها بهذه اليقظة، ولم تكن أعصابها مشدودة هكذا. إحساسها بغريزة البقاء بدا قوياً جداً، كأنه يقود كل دقة قلب في صدرها وكل فكرة تلمع في رأسها وكل نفس تتنشقه.

ابتلعت الخوف المرير بغصة، وضغطت الهاتف إلى شفتيها وتابعت تقول: «أنا في البرازيل، ليون. أخذوني إلى مكان قرب الحدود... مكان لا يبعد كثيراً عن شلالات آغوزو... أطلقوا النار على السنيور شيبي، ولست متأكدة مما حدث لفدريكو. لكن الوضع سيء، ليون.. سيء جداً».

اهتزت بعنف جراء سماعها طلقات النار خارج الكوخ، وتنفست بسرعة.

بعد أن هاجموا السيارة بسبب كمين أقاموه، سحبوا كل من في السيارة إلى الخارج. اعترض نيلو شيبي فأطلق أحدهم النار عليه. ثم وضعوا عصابة على عينيها، ووضعوها بقوة في مؤخرة شاحنة مغطاة بالقماش. بدا لها أن القيادة المرتجة للشاحنة ستدوم إلى الأبد.

مرت نصف ساعة أو ربما أكثر وهي تعاني بسبب الارتجاج، وشعرت بأن الزمن قد توقف. وبما أنها معصوبة العينين، لم تكن لديها أية فكرة عن مكانها أو ماذا سيحل بها.

سمعت وقع خطوات خارج بابها، فقفز قلبها مرتعباً. أين بإمكانها أن تخفي الهاتف؟ وما الذي ستفعله به؟ أسرعت نحو السرير، ووضعت الهاتف النقال بين الأسلاك المعدنية في اللحظة التي فُتح فيها الباب.

دخل بضعة رجال إلى الكوخ. كان هناك العديد منهم؛ ثلاثة أو أربعة دخلوا معاً. شعرت، حتى بدون أن تراهم، أنهم ينظرون إليها، إلى شعرها الأشعث وإلى جسمها المرتجف.

قال الرجل في المقدمة: «قلتِ إنك أميركية المولد».

لم يكن يحمل بندقية على صدره، فقط مجرد حزام تدلت منه جعبتان، في داخلهما مسدسين وغمد مع سكينه. وقف واضعاً يديه على وركيه، وشعرت صوفي أنه ينظر إليها بعينين ضيقتين. شعرت بنظراتهم جميعاً، وهم ينظرون إليها بنظرات ثقيلة سمجة.

- أنا أميركية الجنسية.

- لكن لهجتك إنكليزية. تبدين إنكليزية الانتماء.

- إنني أعيش في إنكلترا منذ أكثر من عشر سنوات.

سحب دفتراً صغيراً للملاحظات وقلماً مكسوراً من جيبه. وقال: «ينتمي زوجك إلى عائلة ويلكنز؟».

- نعم.

كتب ذلك وتابع: «هل تخليت عن جنسيتك الأميركية؟».

كتب ذلك أيضاً، فضغطت صوفي بأظافرها داخل راحتي يديها، بالكاد شعرت بوخز من الألم.

بدت لغة الرجل الإنكليزية جيدة، بل جيدة جداً.

- لا. لكن زوجي إنكليزي الجنسية، ولهذا السبب أعيش في إنكلترا.

استمر الرجل في تدوين المعلومات قبل أن يقول: «وأين هو زوجك الآن؟».

شعرت بقلبها يعتصر من الألم. للحظة، لم تستطع أن تتنفس، وشعرت بفراغ مطبق. في تلك اللحظة أدركت صوفي أن لا شيء لديها مطلقاً، إلا اسمها ومزاجها الأرستقراطي المثالي.

- في المنزل.

هزّ الرجل رأسه ببطء وكأنه يفكر، ثم قال: «وزوجك، سنيورا ويلكنز، ماذا كان اسمه الأول؟».

شعرت بغصة في حلقها أطبقت عليها، فلم تعد تستطيع أن تتنفس، أو أن تتكلم. حدقت بيأس بالرجل القوي البنية ذي الشاربين الأسودين الكثيفين. كان شارباه يلتفان حول شفتيه بقوة مسيطرة، فيبدو فظاً ووغداً.

ابتسم الرجل بسخرية، والتوت شفاه الآخرين أيضاً، كأنهم يتشاركون في ضحكة كبيرة.

- لا يمكن أن تكوني قد نسيت اسمه الآن.

رفعت رأسها، فالتقت عيناها بعينيه. لم يكن المرح الذي يغلف شفتيه يظهر في عينيه. لا! بدت عيناه باردتين كالجليد. لمحت صوفي شيئاً بارداً في عينيه، شيئاً يشبه الموت... فارتجفت. ارتجفت فعلاً، ولم تستطع أن تخفي ذلك. ورأى الرجل ارتجافها بوضوح.

اتسعت ابتسامته، وامتد الظلام البارد من عينيه ليشمل وجهه بأكمله.

- ما اسمه، سنيورا؟

همست: «كليف».

شعرت بصوتها يتلاشى، وبشجاعتها تنهار، وبعالمها كله يتهاوى.

- اسم غير عادي.

امتلأت عيناها بالدموع. فوبخت نفسها بصمت شاعرة بالانزعاج لأنها أظهرت ضعفها، ولأنها أظهرت عاطفتها.

قالت: «إنه اسم إنكليزي».

- من أجل لورد إنكليزي مهم.

كيف عرف ذلك؟ كيف عرف أن كليف لورد، وأنه شخص أرستقراطي؟ كيف يمكن أن يعرف؟

غادر الرجال الثلاثة الكوخ، وأغلقوا الباب وراءهم. ومع ذلك مرت دقائق طويلة وصعبة جداً قبل أن تتمكن صوفي من الحركة. كانت أفكارها مضطربة وقلقة.

بقيت كلمات الرجل ترن في رأسها، وتعذبها: «لورد إنكليزي مهم». اللورد كليف ويلكنز.

ربما كلامه مجرد مزحة. ربما أراد أن يبدو ساخراً، باستعماله ألقاباً إنكليزية.

لكنها ليست متأكدة من ذلك، ولا تستطيع أن تسأل. كل ما تعرفه هو أنها، وبدون أدنى شك، في مكان سيء جداً.

لم تدرك صوفي من قبل أن الوقت يمر بهذا البطء. انتشر الظلام وبدأت الظلال تظهر على الأرض القذرة. كانت بانتظار الظلال، بانتظار القليل من التمويه لتتمكن من استعادة هاتفها من بين أسلاك السرير والفراش. الحمد لله إنهم لم يبحثوا عن هاتفها. لقد تفحصوا حقيبتها باهتمام شديد، وأفرغوها من محتوياتها، لكنهم لم يكتشفوا هاتفها الصغير الذي كانت تضعه في جيب معطفها الخفيف.

ضغطت صوفي على زر إعادة الاتصال وهي ترتجف. شعرت بحشرة تزحف على قدمها، فأبعدت الحشرة وأخذت تصلي آملة أن يجيب ليون على اتصالها. وهذه المرة فعل ذلك.

- آلونسو..

انهار صوتها. فجأة، لم تعد تستطيع التفوه بأية كلمة أخرى، حتى تنهيداتها المؤلمة أبقتها في داخلها.

- صوفي!

بدا صوته قاسياً ومحكماً، تماماً مثل منجم الزمرد الذي كان يعمل فيه في ما مضى، وبات الآن يملكه.

- ليون، لقد اتهموني بالمتاجرة بالمخدرات على ما أعتقد... لست متأكدة... استمر الاستجواب لعدة ساعات، وكان الأمر سيئاً جداً بالنسبة لي.

توقفت قليلاً عن الكلام، والتعب والخوف واضحان في صوتها.

- لا أحد سيؤذيك، صوفي.

- لكنهم أطلقوا النار على السنيور شيبي.

كرر قائلاً: «لا أحد سيؤذيك، صوفي».

- آه، آلونسو! إنني في مأزق كبير.

إنها المرة الأولى التي يسمع فيها الخوف في صوتها. حتى في جنازة كليف، تمكنت صوفي من البقاء هادئة، ومتماسكة، لكنها الآن تبدو خائفة جداً، بل مصابة بالرعب.

سألها: «أين أنت؟».

أغلق حقيبته، وهو ينظر إلى الأرض التي بدت أكثر قرباً. لا بد أنهم سيهبطون قريباً. بعد مرور عشر دقائق أو خمس عشرة دقيقة على الأكثر.

أجابت بضعف: «في مكان ما قرب الشلالات، أو قرب النهر فأنا أسمع خرير الماء».

تفحص ليون بدقة الأرض الشاسعة والداكنة تحته. كان هناك عدد قليل من

الأضواء، وغابة المطر التي تمتد في كل الاتجاهات، وتغطي مئات الأميال لتصل إلى الأورغواي والبرازيل والأرجنتين والباراغواي.

استقل طائرته باكراً هذا الصباح، وبعد مرور ساعات قليلة على مغادرة صوفي. خلال الرحلة نشر أوراقه على الطاولة، وبدأ بالعمل على جهاز الكومبيوتر. اعتمد على شبكة الأقمار الصناعية، ليحدد مكان صوفي. الفضل يعود لجهاز «جي بي سي» الذي وضعه في هاتفها النقال، كان ذلك العمل الذكي الوحيد الذي قام به حتى الآن، فهو بذلك يستطيع أن يحدد بدقة مكان وجودها.

عمل رجال فالديز على حجزها في مكان منعزل مليء بالأشجار، يقع بالتحديد إلى شمال الشلالات.

لن يكون إنقاذها عملاً سهلاً. لكنه قام بأعمال أشد خطورة.

قال لها: «خبر جيد، فهذا سيساعدنا».

تنفست ببطء وبخوف أنفاساً ضعيفة.

- كنت لأذهب معهم، ليون. ما كان عليهم إطلاق النار على السنيور شيبي.

قال ليون: «ما كانوا ليسألونك أن ترافقيهم. فهم لا يسألون أبداً. الرجال الذين قبضوا عليك، لديهم أساليب عنيفة بالتعامل مع الغير. إنه عمل بالإكراه، وأنت تعلمين ذلك».

راح يتحدث معها بهدوء، ومن غير أن يظهر أي تعاطف أو خوف عليها، وكأنهما يتحدثان عن الطقس أو عن كثرة المبيع في أحد المتاجر. كان من المهم أن تحتفظ برباطة جأشها. وهو يريدها أن تساعده في الحصول على وقت إضافي. وتابع يقول: «كل ما نعرفه هو أن شيبي كان يعمل معهم».

- لماذا يقتلونه إذا كان واحداً منهم؟

- ليتمكنوا من التأثير عليك، وهذا ما فعلوه. وليبرهنوا لك أنهم خطرون حقاً، وهم بالفعل كذلك.

لم تعد صوفي تستطيع التفوه بأية كلمة. وللحظة لم يسمع إلا صوت بكائها.

www.elromancia.com

دموعها المنهمرة مزقته تمزيقاً، وجعلته يشعر بالغليان في داخله، وكأن النيران تحرقه.

كليف هو من فعل ذلك! كليف هو من وضعها في هذا الوضع الخطر!

وكليف ليس هنا ليتمكن من إزالة هذه المصائب التي سببها. لم يظهر أياً من بوادر غضبه في صوته وهو يقول: «هل هناك أي شيء آخر يمكنك إخباري به عن مكان احتجازك، صوفي؟ أو عن الخاطفين؟».

أجابت بصوت مضطرب: «هناك العديد منهم، ولا أعتقد أن الأمور تسير بشكل جيد هنا فهناك الكثير من الصراخ. فهم يصرخون طوال فترة بعد الظهر ويطلقون النيران، أيضاً».

ترددت قليلاً لكنها تابعت: «كيف يمكن لهم أن يفكروا أنني متورطة بأعمال تشمل المخدرات؟».

لديه فكرة كاملة عن الموضوع، لكنه لن يخبر صوفي بذلك على الهاتف فهناك أشياء من الأفضل أن تقال وجهاً لوجه.

- إذن لقد تحدثوا معك؟

أصبح صوتها أكثر خشونة وهي تقول بصوت منخفض: «راحوا يسألونني بعض الأسئلة عدة ساعات. كما أنهم سألوا عن كليف».

لم يقل ليون أية كلمة، فتابعت تقول: «أعتقد أنهم يعرفون من يكون، ليون أعتقد أيضاً أنهم كانوا يعرفون من أنا عندما أوقفوني».

بالطبع يعرفون. كان كليف يعمل لدى فالديز والفارو. وفدريكو هو من عمل على تجنيده معهم.

- أحتاج إلى بعض الوقت، صوفي، ربما إلى أربع وعشرين ساعة. هل تفهمين ما أقوله؟

لم يكن بحاجة إلى ذلك الوقت كله، لكن إذا ما ساءت الأمور لا يريدها أن تصاب بالقلق.

كررت وهي تشعر بالخدر في كافة أنحاء جسمها: «أربع وعشرون ساعة!».

قالت ذلك وكأنها تعتبر ذلك الوقت كالسنين الضوئية. فبالنسبة إليها هو

كذلك، وليون يعلم أنها قد تتعرض لعذاب كالجحيم حتى ذلك الوقت.

- إني خائفة، آلونسو.

أغمض عينيه، وكأنه يراها في مخيلته، بشعرها الأسود الحريري الطويل، وعينيها الزرقاوين الحزينتين... لم يكن كليف يستحقها، ولم يعرف يوماً كيف يقدرها أو يتفهمها.

- لا تخافي، صوفي. عندما تستيقظين عند الصباح، اعلمي أنني سأكون قريباً منك. حتى لو لم تتمكني من رؤيتي، سأكون قريباً منك، أعمل على حراستك. ولن يحدث لك أي مكروه.

- لكن إذا حدث..

قاطعها بشدة: «لن يحدث لك مكروه».

لديه اتصالات في كل أنحاء العالم، بما فيها الأرجنتين. وهناك أشخاص عمل معهم لمرات عديدة، ولديهم القدرة على حماية صوفي في كل الأحوال. كما أن ثلاثة من أفضل معاونيه هم الآن في آغوزو. أخبرهم ليون عن مكان صوفي بالبريد الإلكتروني، وهو يعلم أنهم سيتدخلون بسرعة إن لزم الأمر.

قال بصوت حازم وآمر: «فقط أعطيني يوماً واحداً. أو نصف يوم... ليلة واحدة. هذا كل ما أطلبه منك».

أجابت صوفي بضعف: «حسناً».

هبطت الطائرة بدون أن ترتطم بالأرض، فحمل ليون حقيبة للتخييم وجهاز الكومبيوتر. تقع آغوزو على بعد ثماني مئة ميل شمال بونس أيرس. ويوفر المطار الجديد رحلات للسياح لزيارة الشلالات، لكن لم يكن هناك موعد لاقلاع الطائرات قبل الصباح، كما أن ليون وصل إلى الشارع خارج المطار في وقت قياسي.

كان هناك جيب وسائقه بانتظاره. قال السائق: «أهلا بعودتك، آلونسو».

قفز من الجيب رجل أميركي الجنسية، يتحدث بلهجة أهل تكساس. وهو مثل ليون، في أوائل الثلاثينات من عمره. رشيق القامة، أسمر البشرة، ويبدو واضحاً أنه يحيا حياة ثرية.

www.elromancia.com

تقدم ليون ليسلم على فيليب وهو يقول: «تسعدني رؤيتك مرة ثانية».

فيليب وليون عملا معاً في مهمة مشتركة بين وكالة الاستخبارات الأميركية والفرقة ١٦ التابعة للشرطة. وأصبحا صديقين مقربين بسرعة. تقاعد فيليب من وكالة الاستخبارات الأميركية في ذات الوقت الذي تخلى فيه ليون عن عمله في الفرقة ١٦ التابعة للشرطة. وفي حين عمل ليون على استثمار منجمه من الزمرد، بدأ فيليب بالعمل في حقل التأمين. وهذا يعني أنه يحق له القيام بأي شيء وبكل شيء في مختلف أنحاء العالم. وهذا ما فعله.

رمى ليون بحقيبة التخييم في مؤخرة الجيب، بينما صعد فيليب ليجلس وراء المقود. سأله ليون وهو يجلس قربه: «هل وصل الرجال جميعهم؟».

أجاب فيليب وهو ينطلق: «كلنا جاهزون».

نظر ليون إلى فيليب نظرة خاطفة، وقال: «قد تكون الأمور سيئة».

ضحك فيليب بسخرية وبصوت منخفض، وقال: «ومتى لم تكن كذلك؟».

بعد مرور نصف ساعة، أوقف فيليب الجيب أمام فندق كبير من الطراز الحديث، يطل على الشلالات من جهة الأرجنتين.

قال فيليب، وهو يقدم لليون مغلفاً: «هذا مفتاحك. وغرفتك جاهزة. حجزت لك جناحاً في الطابق العلوي، على السطح. وتم الحجز لك باسم غلفان».

كان فيليب كما يدعوه قسم الإدارة، الدعم، أو الشخص الذي يسند ليون إذا تعرض للملاحقة بسبب اسمه المستعار.

- شكراً لك.

نظر فيليب إلى ليون وقال: «ومتى فكرت أنهم قبضوا عليها ليصلوا إليك؟».

- ليس قبل أن تتصل بي.

- كانت طعماً لك، منذ البداية. أخذوها، وهم بانتظارك حتى تتبعها.

- هم يعلمون أنني سأتبعها.

ابتسم ليون ابتسامة باهتة متواضعة وهو يتابع: «سأتبعها حتى لو اضطررت إلى الذهاب إلى الجحيم لأجلها».

- لا تذهب غداً. دعنا نفعل ذلك.

- ليست هذه المشكلة. لكن إذا ساءت الأمور، عليَّ أن أكون هناك. إذا حدث لها أي مكروه، عليَّ...

توقف عن الكلام للحظة طويلة قبل أن يتابع: «عليَّ أن أكون قربها».

هزَّ فيليب رأسه وقال: «إذن سأراك عند الصباح».

- الصباح الباكر.

عندما وصل ليون إلى الجناح استحم وحلق ذقنه واستلقى على سريره ليحظى بعدة ساعات ثمينة من النوم.

بعد مرور ثلاث ساعات، انطلق صوت المنبه، وبعد أن ارتدى ملابسه، ترك ليون حقيبته مفتوحة، وهي مليئة بثياب تصلح لقضاء العطلة، وخرائط عن غابات المطر، وعلب أفلام التصوير...

على بعد ميلين ونصف، كانت صوفي ترتجف من الخوف، شعرت بقميصها تلتصق بها وكأنها جلد آخر لها.

لقد عادوا إليها... الرجال الثلاثة أنفسهم. وهذه المرة، كان هناك رجل جديد معهم: «فدريكو ألفارو».

حدقت بفدريكو للحظة، وهي تفكر أنه أتى لإنقاذها. لكنه وقف بجانب الرجال الثلاثة وأخذ ينظر إليها، وليس هناك أي تعبير على وجهه. لم ترَ أية ابتسامة أو ملامح تدل على أنه يعرفها، فأدركت أن كل ما يجري من تخطيطه وتنسيقه.

همست: «أنت واحد منهم».

صحح فدريكو لها: «إنهم يعملون لدي. هم رجالي».

لم تستطع تصديق ذلك! لم تستطع أن تصدق أن ليون كان محقاً وأنها كانت مخطئة، لم تستطع أن تصدق أنها وقعت بسهولة في حبائل فدريكو.

لم ترَ فيه ذلك الشخص اللطيف المتعاطف الذي تعرفه، بل كان بارداً متبلد الإحساس. قال لها: «أخبريني، هل تمكنت من استعمال هاتفك هنا في غابة المطر؟ هل صادفتك مشاكل في الاتصال؟».

www.liilas.com

لم تستطع صوفي الإجابة.

تابع فدريكو، وقد ظهرت على شفتيه ابتسامة باردة، ماكرة: «نعلم أن لديك هاتفاً. تركناه معك عمداً. هل أجريت الاتصالات التي أردت القيام بها؟».

شعرت صوفي أنها غير قادرة على الكلام، شعرت بجسمها ينكمش، وانتابتها موجات من الحرارة والبرودة في الوقت ذاته.

تقدم منها خطوة وكأنه يرغب في تهديدها: «أين هو الهاتف الآن؟ لا تكوني غبية، أعطيني الهاتف».

أشارت نحو سريرها، فسار فدريكو نحو السرير ورفع الفراش، وعندما وجد الهاتف أمسك به وضغط على قائمة الاتصالات السابقة.

سألها وهو ينظر إليها: «كيف هو صديقنا السنيور غلفان؟».

- لا أعرف عمن تتكلم.

مال فدريكو برأسه: «أنت لا تعرفين آلونسو غلفان؟ الرجل الذي كان في الحفلة، والذي كنت تتصلين به».

ابتسم وتابع: «ذلك هو آلونسو غلفان».

- لا. إنه ليس غلفان. إنه آلونسو هانتسمان.

- هانتسمان ليس اسم عائلته الحقيقي، بل هو اسم مستعار.

شعرت بخوف كبير في داخلها وبأنها على وشك الإغماء. اسم هانتسمان ليس اسماً مستعاراً، إنه اسم ليون الحقيقي. لطالما كان هذا اسمه طوال السنين التي عرفته بها.

- ما الذي تريده مني؟

وضع فدريكو الهاتف في جيبه وقال: «لا شيء».

حدقت به، وحاولت أن تجد بعض الأجوبة المنطقية لهذا الجنون، لكنها لم تكن قادرة على حل أي لغز. قالت: «لم أفهم شيئاً».

سحب فدريكو سكيناً وقال: «إذن، دعيني أقول لك ما الأمر».

قفزت إلى الوراء بينما تحرك فدريكو نحوها. اتسعت ابتسامته عندما رأى

الخوف على وجهها، فانحنى أمامها وهو يضع يديه على ركبتيه، ومازال السكين في قبضة يده. وجدت صوفي من المستحيل أن تتمكن من النظر بعيداً عن السكين، لكنها أجبرت نفسها على النظر إلى الأعلى، قليلاً قليلاً حتى تمكنت من النظر إلى عيني فدريكو البنيتين.

قال بصوت أجش وبطء: «أنت، لاشيء».

استمر في التحديق بها ولمعت ابتسامة خبيثة على فمه. رفع أصابعه نحوها وقال: «أنت لا تعنين شيئاً، مطلقاً. أنت منتهية».

- إذن، لماذا أحضرتني إلى هنا؟

ساد الصمت بينهما، ولمعت عينا فدريكو الداكنتان. قال: «أريد غلفان، هانتسمان. أو أي اسم تريدين أن تناديه به. بيني وبينه بعض الأعمال العالقة. إذن، أخبريني. متى سيكون هنا؟».

فدريكو يريد آلونسو.. فدريكو سيعمل على أذية آلونسو.. ملأت الدموع عينيها، فهزت رأسها غير مصدقة.

رفع فدريكو سكينه، وأمسك بشعرها المعقوص كذيل الفرس.

- أريد الحقيقة، الآن.

رمشت بعينيها، فتساقطت دموعها: «مساء الغد».

- مساء الغد؟

هزت رأسها موافقة.

- ولماذا مساء الغد؟

أرادت صوفي أن تصرخ به: «لا أعرف. قال إنه يحتاج إلى أربع وعشرين ساعة. طلب مني أن أعطيه أربعاً وعشرين ساعة، وسيكون هنا».

- شكراً لك، لايدي ويلكنز. أقدر لك تعاونك كثيراً.

وقف فدريكو، ووضع سكينه في جيبه. وغادر الرجال الكوخ.

www.elromancia.com

٦ - المنقذ

انزلقت صوفي ببطء إلى الأرض، فلم تعد ساقاها قادرتين على حملها، بل شعرت بهما كالهلام.

كان ليون على حق. هو وفدريكو تقابلا سابقاً... فدريكو يعرفه. والأسوأ من ذلك أنه يريده، وقد استعملها للوصول إليه. ابتلعت غصة بصعوبة، فيما راحت أطرافها ترتجف من الخوف، والتعب. شعرت بالعرق الغزير يتصبب منها، بسبب عدم اعتيادها على حرارة المناطق المتاخمة لغابات المطر.

رمت برأسها إلى الوراء على السرير وهي ترتجف وتتصبب عرقاً، وراحت تحدق في الفراغ. قال لها فدريكو إنه كان يعمل مع كليف. فما علاقة ليون بذلك؟ وكيف تعرف فدريكو على ليون؟ ولماذا هو مهتم به؟ لم تستطع أن تجد إجابة لأي من تلك الأسئلة. إلا إذا... إلا إذا كان كليف وليون مرتبطين بعلاقة عمل أو اتفاق ما. وقد يكون عملاً غير قانوني أو شرعي بأكمله، شيء ما لم يرد أحد منهما أن تعرفه.

بِمَ تراهما تورطا؟ وما الذي يجعل ليون يتكتم على هذا الأمر؟ كما أن هناك أمر آخر؛ ما هو اسم عائلة ليون الحقيقي؟ كيف يمكن له أن يكون من عائلة هانتسمان وغلفان معاً؟

شعرت بألم مبرح في رأسها، فأغمضت عينيها لتريح رأسها المتعب. قالت لنفسها؛ ستسير الأمور نحو الأفضل، هذا ما سيحدث. ليون قوي وذكي، ولن يأتي إلى مكان خطر مدفوعاً بالتهور.

- صوفي!

لم يكن الصوت أكثر من همسة، لكنها استيقظت بكل الأحوال. رأت رجلاً منحنياً فوقها، فتحركت محاولة الهروب، فارتطم رأسها بحافة السرير.

- أووه...

- صه، صوفي. عليك أن تكوني هادئة.

توقفت عن الشجار والحركة لتنظر إليه من خلال الظلام. وهمست: «ليون!».

- نعم. هذا أنا، حبيبتي.

ارتمت بين ذراعيه، ووضعت وجهها على كتفه، ضمته بذراعيها وقالت: «أنت هنا! ليس من المفترض أن تصل الآن».

ضمته إليها بقوة أكبر، فشعرت بقوة جسده وبصلابة ذراعيه. لم تشعر بهذا الإحساس من الفرح يوماً في حياتها كلها.

- إنهم يريدونك، ليون. استعملوني كفخ لك.

شدّها لتقف على قدميها وهو يقول: «لهذا علينا التحرك بسرعة».

قدم لها كومة من الثياب: «ارتدي هذه بسرعة».

ارتدت صوفي تلك الثياب التي بدت لها سوداء في الظلام؛ البنطلون واسع جداً عند الخصر، والقميص ضيقة جيداً عند الصدر، شعرت بالامتنان لأن الحذاء الرياضي ناسب قياس قدمها. ربطت شريط الحذاء بإحكام وعندما انتهت قالت: «لقد انتهيت».

وضع ربطة شعر في يدها وقال: «اربطي شعرك جيداً. فأنت لا تريدين أن يزعجك أو يقف في طريقك».

عقصت شعرها الكثيف بسرعة، محاولة ألا تفكر بما سيحدث بعد ذلك.

- كيف تمكنت من القدوم إلى هنا بهذه السرعة؟

أنهت عقص شعرها، ورفعت الضفيرة إلى الأعلى حتى بالكاد باتت ترى، فوضع ليون قبعة سوداء على رأسها، وقال: «يمكنك القول إن دوافعي قوية جداً».

سمعت في صوته نبرة حادة تنم عن الغضب. أعطاها ليون سترة وقال:

«والآن ارتدي هذه».

سترة واقية من الرصاص.. هذا ما فكرت به: «هل ترتدي أنت واحدة مثلها؟».

- نعم.

- إذن، أنت تعلم أن بحوزتهم بنادق.

- نعم.

لمست شفتيها الجافتين بطرف لسانها وقالت: «إذن، كيف ستتمكن من القيام بذلك؟».

أصبح فمها أكثر جفافاً، وأخذت رجلاها تصطكان، وغمرها إحساس كبير بالخوف. عادت تسأله: «هل سنسير إلى الخارج؟».

- هل لديك اقتراح أفضل؟

- ليون، لديهم بنادق كبيرة.

ربت على كتفه، وقال: «وأنا، أيضا».

أشار إليها كي تفتح الباب، عاودها الخوف القديم، بالاضافة إلى خوف جديد لم تشعر به من قبل: «ألن تأتي معي؟».

أجاب ليون: «بالطبع سأفعل، ولكن سأتبعك بعد قليل. وإذا ساءت الأمور، هناك منزل في مكان ما سيأخذك رجالي إليه لتصبحي بأمان».

إذا ساءت الأمور... ! هو يعني، أنه إن أصيب وقتل...

شعرت بعينيها تحترقان، وبعقدة من الخوف تملأ صدرها.

هي التي جرته إلى هذا المكان. هي التي وضعته في الخطر. والله وحده يعلم لماذا يريده فدريكو. لكن، وبدون شك، هناك دماء سوداء بينهما.

قالت وهي تكاد تختنق من الغصة: «عدني.. عدني... أن لا شيء سيحدث لك».

لم يجبها ليون، فشعرت بالدموع الحارة تملأ عينيها. الخطر يحيط بهما، وهو خطر حقيقي جدا.

وقفت على رؤوس أصابع قدميها، وأمسكت وجهه بكلتا يديها، وقالت:

«ستأتي معي، مفهوم؟».

- لم أنتظر هذا الوقت كله لأخسرك الآن، عزيزتي.

صوته الخشن مزق قلبها، فقالت تتوسله: «قل ذلك ثانية».

وبدلاً من أن يتكلم، أخفض رأسه وعانقها عناقاً مليئاً بالوعود. ثم رفع رأسه: «أراك قريباً، عزيزتي».

بالكاد استطاعت صوفي أن ترى بسبب الدموع التي ملأت عينيها. إنه مجنون، مجنون حقاً!

استجمعت ما لديها من شجاعة، ودفعت بجسمها من خلال فتحة الخيمة، وسارت في الليل المظلم الساكن. نهض رجلان من المكان الذي كانا يختبئان فيه على جانبي الباب وأمسكا بها، فيما كان ليون خلفها تماماً. بصمت و هدوء ساروا عبر المخيم النائم، وشعرت صوفي أن الصمت تغلغل في داخلها. بدا الصمت مرعباً، وشعرت أن هناك عيوناً تراقبهم. فجأة انطلق صوت النيران في المخيم.

- أخرجوها من هنا، الآن.

سمعت صوفي أمر ليون الصاخب، وسرعان ما ظهر رجل ثالث أمامها. فجأة، شعرت بنفسها محمولة على أذرع الرجال الثلاثة الذين استخدمهم ليون. وتساءلت كيف بإمكانهم أن يروا، فهي تشعر بأنها عمياء كالخفاش. لكن الرجال ركضوا، وما إن وصلوا إلى حافة دغل، حتى سمعت صوت انفجار وراءها. ثم سمعت ليون يطلق شتيمة ويصدر أنيناً خافتاً لكنه لم يتوقف عن الجري. استمر في الركض مؤمناً لها الحماية، وما إن أصبحوا على مسافة أكبر في الدغل، حتى حملها ليون بين ذراعيه. فلمحت المنظار الذي يضعه على عينيه.

لا عجب أنهم يرون في الظلام. فجميع الرجال يضعون نظارات خاصة للرؤية في الظلام.

وضعها ليون على كتفه، وعلى الفور توزع الرجال؛ ذهب أحدهم إلى الجهة اليسرى، وتابع آخر الركض بسرعة نحو الجهة اليمنى، والرجل الأخير بقي وراء ليون ليحمي ظهره.

www.elromancia.com

ثبت جسمها بذراعه القوية ليتمكن من الإمساك بها بقوة أكثر. راحت تتأرجح على كتفه، مكافحة بشدة كي لا تصاب بالإغماء. أغمضت عينيها، وأخذت تتنفس. أرادت فقط التنفس بطريقة عادية. بعد ذلك فتحت عينيها، وحاولت أن تجد مكاناً على الأرض لا يتحرك أمامها.

وأدركت بعد أن فتحت عينيها للمرة الثانية أن الرجل الذي كان خلفهما لم يعد كذلك. هل أصابه مكروه؟

أمسكت صوفي بكتف ليون عبر قميصه الكاكي، وقالت: «الشاب الذي كان وراءك اختفى».

- جيد. من المفترض أن يذهب إلى الجيب.

- لمَ لا نذهب إلى الجيب نحن أيضاً؟

- لأن وجودنا في الجيب أكثر خطورة.

- لست متأكدة مما تقوله.

توقف ليون فجأة، ووضعها على قدميها. وبسرعة خلع سترته الواقية الثقيلة الوزن والمنظار من حول رقبته ووضعهما في الحزمة قبل أن يعلقها على كتفيه ثانية. وهو يقول: «ما كان يجدر بك مغادرة لندن بدوني».

- هناك أشياء يجب أن أقوم بها بنفسي. أشياء يجب أن أعرفها.

توقفت عن الكلام وهي تلاحظ بقعة على كتفه، وذلك بعد أن خلع السترة. بدا كمه الأيمن بلون داكن مائل إلى البني في الضوء الخافت الذي كان يخترق النباتات الكثيفة. لقد أصيب بطلقة نارية.

- لقد أصبت.

- لا.

- لكن كتفك...

قاطعها بسرعة: «إنه بخير».

- هناك دماء عليه.

- لا، ليست دماء. والآن، لنعاود المسير. أنت لا تريدين أن يمسك بنا صديقك فدريكو.

انطلق ليون أمامها، يسير قليلاً ويقفز أحياناً، ويبعد الأغصان والنباتات الكثيفة الغضة من أمامها كي تمر.

ما إن توغلا أكثر في الغابة شبه الاستوائية حتى أصبح خرير ماء الشلالات أقوى. أيعقل أنهما يسيران نحو الشلالات؟ من المفترض أن يسيرا مبتعدين عنها، فليس هناك طرقات قرب الشلالات. لا مجال لهما للهرب من هناك.

تسلقا التلة لمدة ساعة أخرى أو أكثر، ومرة ثانية شعرت أن صوت الشلالات أصبح أقوى. بعد فترة قصيرة شعرت أن الحرارة باتت أقل تأثيراً والهواء الحار الراكد أصبح أشد برودة وانتعاشاً.

فجأة رمى ليون الحزمة الثقيلة التي كان يحملها، فارتطمت بالأرض بقوة، وقال: «ستتوقف هنا».

أخذت صوفي تتجول في المكان الصغير بعدم ارتياح، محاولة أن تتخيل كم من الوقت سيحتاجان إلى البقاء هنا في غابة المطر قبل أن تأتيهما النجدة. كانت الأشجار والنباتات تحيط بهما، لكن ليس هناك حماية فعلية لهما. وأدركت صوفي كم هي مشتاقة لتستحم وتستلقي في سرير مريح.

انحنى ليون قرب الحزمة، وأخرج منها بضع لفائف صغيرة. وقفت تنظر إليه وتراقبه وهو يفتح تلك اللفائف؛ طعام يصلح لرحلات الفضاء. الأسماء مألوفة لديها لكنها موضوعة في أشكال غريبة. وجميعها مناسبة للجفاف. هذا الطعام مناسب جداً لمتسلقي الجبال حيث يتناولونه أثناء رحلاتهم الطويلة. وفكرت: كم من الوقت سيبقيان هنا بكل الأحوال؟.

أعطاها ليون رزمة من تلك اللفائف. أخذتها وجلست على الأرض تنظر إلى الطعام بلهفة. قطعة من البروتين، وأخرى من الفاكهة المجففة وشراب مقوي.

سألته وهي تفكر بما تبدأ: «وما الذي سيحدث الآن؟».

- سنأكل.

لا بد أنه يمزح! نظرت إليه بتوتر، وقالت: «كيف ستتمكن من الخروج من هنا؟».

- لن نفعل، ليس قبل مضي بعض الوقت.

www.elromancia.com

- لكننا لا نزال قريبين منهم، نحن عملياً ما زلنا تحت أنظارهم.

- تماماً. سيفكرون أننا توجهنا بعيداً عن هنا، وسيبحثون عنا في البلدة، في الفنادق والمتنجعات، في أقسام البوليس، في أي مكان إلا في المنطقة المجاورة لهم.

- كلامك منطقي، لكنني أفضل التعامل مع الشرطة أو مع القنصلية المحلية.

- صوفي، نحن في وسط المجهول. ليس هناك وجود لأية قنصلية هنا. هناك ثلاثة بلدان تحيط بهذه الشلالات، ولكل بلد منها شرطته الخاصة ونظامه السياسي الخاص. وإذا كان صديقنا فدريكو يعمل مع إحدى الحكومات، فلا أريد أن أطلب المساعدة علناً من أي من هذه الدول.

- وماذا بشأن حكومتنا؟

نظر إليها نظرة قاسية وطويلة: «ماذا بشأنها؟».

رأت لمعاناً في عينيه أخافها. ليون غاضب منها، بل هو غاضب أكثر مما يستطيع إظهاره. قالت: «لمَ لا تستطيع الذهاب إلى ممثلي حكومتنا؟ نحن لسنا في مشاكل مع حكومتنا، أليسَ كذلك؟».

لم يجب عن سؤالها على الفور، فغمرها شعور من الرعب وقالت: «ليون؟».

- أنا لست كذلك، لكن يمكن أن تكوني أنت في مشاكل معها.

- لماذا؟

- ألفارو.

ألفارو! تعاملها مع فدريكو ألفارو! كانت تمضي أوقاتاً مع رجل مشبوه. سافرت إلى هنا مع فدريكو، وحجزت فندقاً معه، ووضعت نفسها تحت رعايته... يا إله السماوات! لم تستطع تخيل ماذا يعني ذلك وكيف يبدو.

رفعت نظرها، فالتقت عيناها بعيني ليون. لم يقل شيئاً، كان ينظر إليها فقط. وبدت لها بوضوح فداحة عملها. بعد ذلك ظهر الضيق على وجهه، واتسعت عيناه الزرقاوان. وعندما تكلم، جاء صوته هادئاً بشكل يثير الانتباه: «إلى أي حد كانت علاقتكما حميمة؟».

انتفض جسد صوفي: «لا! على الإطلاق».

- لكنك تركت البلاد برفقته.

قاطعته بحزم: «أنه يريدك أنت، أعلم الآن أنه استعملني للوصول إليك. هذا ما كان يسعى إليه طوال الوقت، وليس أنا».

- طلبت منك أن تبقي بعيدة عنه.

فكرت أنه فات الأوان على ذلك، تنفست بهدوء وقالت: «قلت إنه تاجر مخدرات، هل هذا ما كنت أنت وكليف متورطين به أيضاً».

راح قلب ليون يضرب بقوة، وشعر بدمائه تغلي في عروقه، أجاب: «لا».

لم يبعد نظره عن وجهها. ماذا لو أنها تعرف أكثر مما تعترف به؟ ماذا لو... فقط، ماذا لو كانت متورطة هي أيضاً؟ ماذا لو كانت جزءاً من الفخ الذي نصبه له ألفارو؟

- لكن كليف كان متورطاً مع ألفارو، أليس كذلك؟

- لماذا أتيت إلى هنا بحق السماء، صوفي؟

لم يستطع ليون أن يخفي التوتر والضيق اللذين يشعر بهما، فظهر ذلك في صوته الحاد.

من الأفضل لها ألاّ تكون جزءاً من هذا كله. ليساعدها الله، وليساعده!

شعر فجأة بالخوف عليها، خشية أن تكون متورطة بالرغم عنها، خشي أن تكون قد وجدت نفسها متورطة بعالم فالديز. قال بإصرار، وبصوت مليء بالضيق والعنف: «أنت لست واحدة منهم، أليس كذلك؟».

قالت بقلق: «أنا لم أعمل على نصب كمين لك. ولن أفعل مطلقاً ذلك».

بعد ذلك فكرت كيف استعملها فدريكو بسهولة مطلقة، وسيطر عليها ليجر إليه ألونسو. تابعت: «على الأقل، لن أفعل ذلك عن قصد».

جلس ليون ببطء، وقد اختار بقعة لا تبعد إلا بضع خطوات عنها، أجفل عندما أمسك بطعامه وسالت الدماء من عضلات ذراعه، وتحت زند قميصه الذي كان قد رفعه إلى الأعلى.

لم تعد صوفي تشعر بأية شهية للطعام، فتخلت عن محاولة فتح اللفائف، وقالت: «ما زلت تنزف».

www.elromancia.com

رفع كتفيه، وقضم قضمة من طعامه المصنوع من البروتينيات، ثم قال: «لن أموت بسبب ذلك».

- هذه ليست مزحة.

قضم قضمة أخرى، وقال: «لا أحاول أن أمزح».

برودته أصابتها بصداع مميت. وقفت ومسحت يديها ببنطلونها.

- دعني ألقي نظرة على ذراعك.

قال ساخراً: «أحقاً تريدين أن تلمسيني؟».

أجابت: «اخلع قميصك».

وركعت على ركبتيها قربه. شهقت بقوة عندما حاولت أن ترفع كمه أكثر لتلقي نظرة على الجرح. وقالت: «هناك الكثير من الدماء».

- لم تكوني يوماً قادرة على النظر إلى قطرة دماء.

حاولت أن تبدو هادئة رغم شعورها القوي به في تلك اللحظة. ربما لأنه كان ينظر إليها، وعيناه تتأملان وجهها. وربما بسبب حجم جسمه الكبير وحركات عضلاته.

- عليك أن تخلع قميصك.

- احذري، عزيزتي. هل أنت واثقة مما تفعلين؟

نفخت خصلة من الشعر سقطت أمام عينيها، وقالت: «هيا اخلع قميصك. لقد فقدت الكثير من الدماء».

بدأ يفك أزرار قميصه الكاكي، زراً تلو الآخر. فأصبح صدره بارزاً تحت قميصه المفتوح، بدت عضلات صدره القوية الكبيرة، وبدت بشرته ملتمعة بلون الذهب. قالت بضيق محاولة أن تركز انتباهها على ما ستقوم به: «اخلعها كلها».

- إنها ملتصقة.

وكان على حق في ذلك. نزعت صوفي القميص عن كتفيه لكن القماش بقي ملتصقاً بالدم الجاف على كتفه وعلى القسم الأعلى من ذراعه.

قاومت بشدة رغبتها في التقيؤ. وبحذر، رفعت القماش عن الجرح، وأبعدته

بعد أن حركته إلى الأمام وإلى الوراء حتى تمكنت من التخلص من القميص كلياً، ما تسبب بتدفق الدماء الحارة على الفور.

سألت وهي تحاول أن تبدو كفؤة، بينما كانت ترتجف من الداخل: «كيف يمكننا أن نوقف النزيف؟».

قال ليون وهو يشير إلى الرزمة: «نحتاج إلى ضمادة للضغط. لدي صندوق صغير فيه أدوات طبية، في جهة الجيب».

وجدت صوفي الصندوق بسرعة وفتحته. فقال: «ضعي ضمادتين أو ثلاث من الشاش معاً».

قاطعته: «انتظر، دعني أستعمل تلك المحارم للتنظيف أولاً».

ارتجفت يداها وهي تحاول فتح واحدة من الرزم الصغيرة.

- والآن، دعني أمسك بذراعك، أريد أن أمسحها لتصبح نظيفة قدر الإمكان.

فتحت رزمة ثانية. وبنعومة ولطف نظفت الجرح قدر المستطاع. كانت تعلم أنه يتألم. بدا متوتراً جداً، لكنه لم يرتجف عندما ربتت على الجرح.

- والآن اضغطي بالشاش بقوة. إذا استطعنا إيقاف النزيف لمدة نصف ساعة، سنصبح بألف خير.

- وإن لم نستطع؟

ابتسم وقال: «لا تقلقي، أعتقد أننا ما إن نحكم الرباط بشكل جيد وثابت، سيصبح الجرح بخير».

لفت صوفي الشاش بقوة حول ذراعه. احتاجت لبعض الوقت لإتمام ذلك، فعضلاته بدت كبيرة وقاسية جداً.

- ماذا بشأن الرصاصة؟

- أعتقد أنها مرت قرب ذراعي، وإلا . . لا بد أنها في مكان ما في السترة.

لقد أصيب بالرصاص من أجلها. أغمضت صوفي عينيها متألمة. تلك كانت غلطتها! حذرها ليون بشأن فدريكو، وقال لها إن فدريكو أكثر خطورة من أي شيء تستطيع تخيله.

www.elromancia.com

همست وهي تعمل على ضغط الشاش على ذراعه: «إني آسفة».

بنعومة حفت حدود الشريط اللاصق، لتتأكد أنه قد التصق ببشرته. وأخيراً، نظرت إليه بعد أن ضمدت ذراعه، وأدركت أنها أمضت السنوات العشر الأخيرة وهي تهرب منه.

على رغم الانجذاب القوي بينهما، كانت تخاف منه لأنه شخص لا تستطيع أن تتوقع أفعاله. فهو غير مستقر. أما هي، فتريد الاستقرار. تريد منزلاً وعائلة، أطفالاً وأخوة وأخوات وأقارب، تريد كل ما يمت إلى الاستقرار بصلة.

همست مرة أخرى: «إنني آسفة حقاً».

وعلمت أن هناك الكثير من الأشياء التي كانت تعتذر عنها، كثير من الجراح والاهانات التي تراكمت عبر السنين. شعرت بألم وحرقة في عينيها، فنظرت باهتمام وقوة إلى الضمادة البيضاء على ذراعه. رأت القليل من الدماء تحت ضمادات الشاش؛ لم يتوقف النزيف بعد.

- إني آسفة لأنني لم أخبرك لماذا كنت أقابل فدريكو. آسفة لأنني خدعتك وسافرت بعد الحفلة مباشرة، وآسفة لأنني أوقعتك في هذا المأزق.

لم يقل ليون شيئاً، فتنفست بعمق وهي ترتجف. هي تعلم أن كل شيء بينهما قد تغير، وأن أي عاطفة بينهما أصبحت الآن أقوى، أكثر فاعلية، وأكثر خطورة.

قالت بصوت عميق: «قال فدريكو إنك آلونسو غلفان، لماذا؟».

- إنه اسم قديم لعائلتي.

- قلت إنك من عائلة هانتسمان.

- شكراً لك.

لاحظت أنه لم يتعاون معها في الكلام فسألته: «من أين يعرفك فدريكو؟».

- كنت أنا وكليف نمضي الكثير من الوقت معاً.

نظرت إلى وجهه، وحدقت في عينيه ملياً. بدت عيناه باردتين كالثلج: «كيف يمكن لهم أن يعرفوا كليف؟».

- كان لكليف بعض الأعمال والعلاقات في جنوب أميركا.

- من خلال مصرف إنكلترا؟

- لا. عمل خاص به.

هذا هو العمل الذي أتت إلى هنا لتكتشفه. ليون يعرف بما كان كليف متورطاً. كان يعرف طوال الوقت، ومع ذلك لم يخبرها. لكن قبل أن تتمكن من أن تسأل أي سؤال آخر أشار إلى اللفائف في حضنها، وقال: «أنت بحاجة إلى الطعام، وإلى الشراب المغذي. من المهم أن تحافظي على طاقتك، فنحن لم نرحل عن الغابة بعد».

كان يعلمها، وبدون أن يقول ذلك بكلمات محددة، أنه لن يجيب عن المزيد من الأسئلة. وأنه، مهما كان ما يعرفه عن نشاطات كليف، فهو ليس مستعداً لمشاركتها بها.

لم تستطع أن تتقبل ذلك، فقالت: «أريد أن أعرف.. كليف كان زوجي...».

قاطعها بحزم: «وأفضل صديق لدي. لكن لن أقول شيئاً قبل أن نخرج من هنا».

- لماذا؟

- لأن الأمر معقد وغامض. وبصراحة، لا أملك القدرة على التعامل مع ما حدث منذ سنتين ونحن في هذا الوضع الحرج.

حسناً، نقطة لصالحك! هزت صوفي رأسها وقالت: «ربما ليس الوقت مناسباً للتحدث عن كل ما حدث، لكن عندما نعود إلى الحياة الطبيعية، أنت تدين لي بإخباري الحقيقة».

نظر إليها مطولاً وهو يحدق بها بجدية، وقال: «تناولي طعامك».

في ما بعد، وبينما كان ليون يعيد ترتيب الرزمة، سارت صوفي إلى حافة المكان حيث رأت الضوء يتسلل عبر النباتات الكثيفة. كان صوت الماء يتعالى أكثر فأكثر، لدرجة أنها تكاد لا تسمع إلا صوتها.

شعرت برذاذ الماء، فشربت وأخذت نفساً عميقاً. الرذاذ الخفيف برّد

www.elromancia.com

بشرتها، لكن أفكارها بقيت تغلي في رأسها. كان كليف يعقد صفقات في البرازيل، وليون يعرف بشأن تلك الصفقات. هل كان هو جزءً من تلك الصفقات؟ وبِمَ كانت تتعلق تلك الصفقات؟ تذكرت نهار البارحة، عندما كانوا يطرحون عليها الأسئلة، وسألوها عن المخدرات... عن المتاجرة بالمخدرات...

تصلبت صوفي في مكانها. لا يمكن لكليف ولليون أن يفعلا شيئاً كهذا. لا مجال لذلك فلا أحد منهما كان له علاقة بالمخدرات طوال حياته. لماذا يتورطان بأمر بمثل هذه الخطورة؟ ليون ليس بحاجة إلى المال... لكن كليف.. كان المال ينقصه على الدوام! لا، كليف لا يفعل أمراً كهذا. لا مجال لذلك. لا بد أن الأمر كله مجرد فكرة مضحكة وسخيفة...

لكنه قام بعدة رحلات سرية خارج الحدود.

قال ليون، وصوته تماماً وراء كتفها: «المكان أجمل قرب الماء».

تفاجأت صوفي، فهي لم تسمعه يقترب منها. فالضجة الصادرة عن الماء تكاد تطغى على كل شيء آخر.

استدارت لتنظر إلى آلونسو، حاولت أن ترى ما وراء تينك العينين الزرقاوين الباردتين، وما وراء خديه المرتفعين وشعره الأسود الذي يلامس قبة قميصه. حاولت أن ترى الرجل تحت تلك الهيئة القاسية، ومع ذلك لم تصل إلاّ إلى الشاب المراهق... الثورة الغاضبة، الفتى ابن السابعة عشر، والذي صمم ألاّ يُقهر أبداً.

- كيف صنعت ثروتك؟

سألته ذلك، وهي تفكر أنه لم يكن أبداً ثرياً.

- لا بد أنك كنت بحاجة إلى الثروة لشراء منجم الزمرد في البداية.

ضاقت عيناه تدريجياً، وقال: «والدي الحقيقي ترك لي بعض المال، وكان هناك بعض الاستقرار في العمل. وعندما أصيب زوج أمي في المنجم، قررت أنا وأمي وزوجها أن نشتري حصة أحد الشركاء».

- وبطبيعة الحال، أصبح المنجم لك بمفردك.

- نعم.

تابعت بإصرار: «إذن، عائلتك أعطتك فرصة للبداية».

فكرت أنه يبدو قاسياً جداً، ولا مجال لمقارنته بأحد. لا تستطيع أن تصدق أن ليون قد يتورط بشيء مشبوه.

- لدي مدخراتي أيضاً، صوفي. كنت ضابطاً في القوات الجوية الملكية. كان لدي عمل، وكنت أوظف أموالي بطريقة جيدة.

راح ينظر إلى وجهها باهتمام، ويتفحص ملامحها بقوة، وقال: «لماذا؟».

مدّت يدها وكأنها تشير إلى الأشجار والسماء وخرير الماء وتابعت تقول: «لا أستطيع فهم أي شيء. فأنا لا أعرفك، ولا أعرف لماذا يسعى فدريكو وراءك، ولا أعرف كيف تمكنت من الوصول إلي بسرعة، إلا إذا...».

غاب صوتها وهي تتنفس بقوة محاولة أن توفق بين صورة آلونسو اللامعة في عالم الزمرد والتجارة الدولية وآلونسو الذي هاجم المخيم في الصباح الباكر ليقوم بإنقاذها بنجاح.

وضع ليون الحزمة على كتفيه، وأجفل قليلاً عندما حف الرباط بجرحه. ثم قال: «اعتقدت أننا قررنا أن نترك الحديث بهذا الأمر جانباً حتى نعود إلى بلادنا بأمان».

- أريد فقط أن أعرف كيف وصلت إلي بهذه السرعة، وكيف وجدتني بهذه السرعة.

قاطعها ببرودة: «لدي فريق خاص للمراقبة، ولديهم تكنولوجيا عالية المستوى».

- هكذا تمكنت من إنقاذ كليف من أميركا الوسطى، أليس كذلك؟

- شيء من هذا القبيل.

لم تكن لتسمح له بالتهرب منها بسهولة، تابعت تسأله: «وهذا العمل المغوار الذي تقوم به، ليس مجرد هواية أليس كذلك؟».

- هيا صوفي، كفاك أسئلة! قمت بذلك العمل لأنك كنت في مأزق، وأنا لا أحب هذا النوع من الأعمال. لا أشعر بأنني أكثر قوة وأنا أحمل مسدساً. لو أنني

أفعل ما أريده فقط، لكنت الآن في الريو مستلق تحت أشعة الشمس، أستمتع بشراب بارد، ولست أمضي الليل على ضفاف نهر مليء بأفاعي البوا والتماسيح.

- آه!

كرر ليون بمرارة: «نعم، آه. أنت حقاً لا تعرفين من أكون، أليس كذلك؟ أنت تعتقدين أنني مختلف عنك. وتعتقدين أنني بارد وقاس ومجرد من أية عواطف».

- هذا ليس صحيحاً...

- حسناً! لا أحب أن أتجول في أنحاء العالم، وأنا أحمل حقيبة، وأعمل طوال النهار والليل.

تابع بالرغم من اعتراضها، ولم يعطها فرصة لتكمل ما تريد قوله: «إنني في الثانية والثلاثين من عمري، وأحب أن أستقر وأن يكون لدي أطفال، وأن آخذهم إلى حديقة الحيوان وإلى المنتزه، وأن ألاعبهم في الأرجوحة مثل أي والد آخر».

توقف عن الكلام فجأة، وصرّ أسنانه ببعضها وهو يهز رأسه. قبل أن يتابع: «لكن لسبب ما، أنت لا ترين أنني مجرد رجل عادي. فأنا في نظرك مجرد آلة. شيء ما يقوم بعمل ما لقاء أمر ما أو طلب ما».

- لا، لست أراك هكذا. إن أكثر ما أراه فيك هو عواطفك. أشعر بأن عواطفك قوية جداً لدرجة أنها تخيفني حتى الموت. أنت آلة باردة؟ لا مجال لذلك. أنت أكثر رجل طموح قابلته في حياتي.

٧ - النعامة وسوبرمان

بدا ليون كالمجنون، بعد أن لمعت عيناه وبرز فكه إلى الأمام. شخر قائلاً: «إذن، لا حظت ذلك».

- نعم، لا حظت. لا حظت أن مقداراً قليلاً من أي شيء ليس كافياً لك. أنت دائماً تريد المزيد؛ تريد كل شيء.

- وإن يكن. أين الخطأ في الحصول على كل شي؟

- لأن هذا... ليس عملياً.

- عملياً؟

- حسناً! ليس واقعياً. لا يمكنك أن تحصل على كل شيء في الحياة. أنت تحصل فقط على بعض الأشياء.

- هذا هراء! أنت من وضع الحدود لنفسك باكراً. خشيت أن تطلبي الكثير وتصابي بخيبة الأمل. حددت خياراتك بأمر واحد، وهو كليف، مسببة اليأس لنفسك قبل أن تفعل لك ذلك الحياة بنفسها. ورحت تؤكدين لنفسك أن ليس هناك أية مفاجآت باقية في الحياة.

- هذا كلام متسم بالغرور والتفاخر والاعجاب بالنفس.

- لكنها الحقيقة. ودعيني أخبرك المزيد، منذ وقت بعيد شعرت بالخوف، فقمت بالخدعة المفضلة لديك صوفي، لعبت دور النعامة ودفنت رأسك في الرمال. وهكذا عشتِ طوال السنوات العشر الماضية؛ جسمك في الهواء، وهذا الرأس الجميل في الرمال، بدون أية فكرة أو مفتاح لمعرفة سبب الوحدة والاحساس بالفراغ وعدم السعادة التي تعيشين فيها.

- أنا... لا أشكو من قلة السعادة.

بدت غاضبة جداً ومنزعجة لدرجة أنها لا تكاد ترى أمامها.

- حسناً! كما تشائين، حبيبتي، لكن لا تتذمري عندما تتركك الحياة وراءها.

- لن أفعل. ولِمَ تفعل الحياة بي ذلك؟.

ضحك ليون واستمر بالضحك. تباً لمرحه الدائم! ضحكته أثارت غضبها بشكل لا يحتمل. انحنت وخطفت غصن شجرة مكسور، ولوحت به مهددة وكأنه سلاح.

- توقف عن الضحك وإلا.. وإلا...

- ماذا ستفعلين، أيتها النعامة الصغيرة الجبانة؟ النعامة الصغيرة الجبانة!

فغرت فمها وفتحت عينيها بقوة، غير مصدقة ما سمعته. طوال حياتها لم ينادها أحد بأي شيء مذل وتافه كهذا. نعامة صغيرة تافهة! إنه يستحق عقاباً على قوله.

اندفعت صوفي بغضب إلى الأمام. وطعنته بعنف بالعصا بين ضلوعه بطريقة مُحكمة قبل أن يتمكن ليون من الإمساك بالعصا، ويجمد حركتها.

- تركتك الحياة وراءها منذ زمن بعيد، صوفي جونسون، ولو لم يكن الأمر كذلك، لما كنت هنا في البرازيل بعد سنتين من وفاة زوجك محاولة أن تتصوري ما الذي حدث في حياته.

- هذا لأنني أهتم.

- كلام سخيف! هذا لأنك لم تفهمي شيئاً. لم تحبيه يوماً. كنت تحبينه كصديق فقط، وتزوجته لتتمكني من الاستمرار بلعب دور النعامة ولكي تتجنبي حياة حقيقية معي.

رفع ألونسو العصا ورماها جانباً، ثم قال: «لنتابع المسير. لقد أوضحت فكرتي».

لقد استمتع حقاً بإظهار قوته، أليس كذلك؟ فكرت صوفي بذلك باشمئزاز وهي تنهض عن الأرض وقد شعرت أنها أكثر عناداً وتعباً مما كانت عليه.

سارت وراءه وهي تقتلع الأوراق والأغصان من أمامها. وشعرت بالاشمئزاز وهي تنزع برقانة كبيرة عن شعرها. بسرعة نزعت صوفي الربطة من شعرها، ومشطته بأصابعها ثم عقدته بسرعة وإلى الوراء على شكل ذيل الفرس.

نعامة صغيرة جبانة!

كلما ترددت تلك الكلمات في ذهنها كلما أصبحت أشد غضباً. حسناً! ستريه. راحت تغلي من الغضب وهي تتبع خطاه وترى ظهره الصلب هو يهبط التلة لمدة تقارب الساعة. بطريقة أو بأخرى، ستبرهن له أنه مخطئ.

فجأة تعثرت بسبب جذور نائتة فوق الأرض، وسقطت فوق الأغصان المرمية على الأرض. استدار ليون وسار في الاتجاه المعاكس، ليتمكن من الإمساك بيدها لتنهض على قدميها.

- هل تحاولين أن تدفني رأسك مرة ثانية في الرمال، عزيزتي؟

لم تستطع أن تفكر بأية إجابة ساخرة لتقولها له. أزالت الأوراق والأوساخ عن يديها، ونظرت إليه بغضب بقدر ما تستطيع. تمنت لو أن واحدة من أفاعي البوا، التي ذكرها بالصدفة منذ فترة، تتدلى من إحدى الأشجار فتلسعه على رقبته.

قال ليون بسخرية: «لن يحدث ذلك!».

- ماذا؟

نزع آخر ورقة يابسة عن شعرها وقال: «أمنيتك بأن يحدث لي مكروه أو اللعنة التي تحاولين أن تضعيها علي».

رمى الورقة من يده والتوت شفتاه بابتسامة صغيرة مغرورة، ثم تابع: «حدث ذلك من قبل، لكنك لم تعرفي به بعد».

- إذن ستسقط ميتاً في ما بعد، وعندها لن أكون بالقرب منك حتى أحتفل بذلك؟

اتسعت عيناه وقال: «لن أموت!».

- تباً! وأنا التي تصورت أنك ستجعلني المستفيدة من وصيتك!

- بالطبع! تزوجي بي وسأجعلك وريثتي.

www.elromancia.com

- أتزوجك؟ أبداً. أفضل أن أبقى هنا في غابة المطر.

نظر إليها وقد التوت شفتاه. ثم قال مزمجراً: «بالطبع سأبقى معك. أنت وأنا عزيزتي. يمكننا أن نقوم بدور طرزان في الغابة».

- أضحكتني حقاً!

- لا شك أننا سنتزوج.

لم يعد حديثهما مضحكاً الآن. توقفت صوفي عن السير، وصرخت بظهره الكبير العنيد: «لن نتزوج أبداً».

أجاب ليون وهو يتابع سيره: «يسعدني أنك تحبين غابة المطر»..

في وقت متأخر من بعد الظهر وصلا إلى النهر، حيث تمتد أميال من الأراضي في الأفق الواسع. فيما الأشجار الباسقة وأشجار النخيل تحيط بضفاف النهر. بدأ ليون العمل على الفور.. راح يجمع الخشب ويبريه بالسكين ويقطعه. ضاقت عيناه وبرز فكاه وهو يقوم بعمله بنشاط ملموس وواضح.

عمله هذا أثار أعصابها. راقبته وهو يقطع غصناً طويلاً، ثم يحمله إلى شجرتين فتيتين ويثبته بينهما على ارتفاع موازٍ لخصره. عندها عرفت ما الذي يفعله؛ إنه يبني مكاناً للاستلقاء عليه.

سألته: «هل نحتاج إليه فعلاً؟».

اعترفت صوفي في سرها أنه واسع الحيلة والدهاء، وبعد مرور لحظات بدأت تجمع المزيد من سعف النخيل وتحملها إليه. قالت بخفة وهي تضعها عند قدميه: «تفضل. أنت تقوم بعمل جيد».

أخرج ليون أرجوحة شبكية من الرزمة وعلقها بين الشجرتين، تحت الساتر الذي صنعه كسقف.

سألته: «كم من الوقت سنبقى هنا؟».

عاودها شعور بالقلق، فهي وليون هنا في العراء بمفردهما. وهما يعتمدان على بعضهما بشكل كلي. وبطريقة ما، لم تشعر أن وجودها هنا أكثر أماناً لها من كونها رهينة لدى فدريكو ورجاله.

أجاب ليون: «عدة أيام».

- وبعد ذلك؟

- نأمل أن يصل القارب.

- وإن لم يصل؟

- سنبقى هنا لمدة أطول.

يا له من رجل ساخر! بلعت صوفي ريقها قبل أن تقول: «ومن الذي سيأتي لنجدتنا؟».

- أصدقائي.

- أولئك الذين عملوا على إنقاذي هذا الصباح؟

- هم أنفسهم.

انحنى بجانب النهر وغسل يديه. عندما رفع نظره كانت تقف بقربه، واضعة يديها على وركيها وعيناها ضيقتان مركزتان على الأفق.

إنها جذابة جداً! هذا ما فكر به وهو يحاول ألاّ يبتسم. لطالما بدت صوفي سيدة أنيقة ومميزة، لكنه يحبها بهذه القميص العسكرية الخضراء والبنطلون الأخضر الداكن والحذاء الأسود الكبير. بدا شعرها الحريري الأسود متدلياً بشكل ذيل فرس إلى وسط ظهرها، أما خداها الشاحبان فقد لونتهما أشعة الشمس. بإمكانها أن تكون مثالاً للجمال وهي ترتدي ثياب أفضل المصممين. يا إلهي! إنه يتحرق شوقاً إليها، ولا يستطيع أن يتخيل الحياة بدونها.

أدرك ليون، منذ كانا مراهقين، أنهما ينتميان إلى بعضهما البعض. لكن صوفي جبانة وتريد العواطف البسيطة، تلك التي تتطلب شجاعة أقل وعدم ثقة بالنفس وأقل مقدار من الحب والشوق. مع أن هذا ليس ما تريده في الحقيقة. إنها فقط تخاف من الاعتراف أنها بحاجة إلى المزيد، وجعلها تعترف أنها بحاجة للمزيد هو الآن التحدي الذي يواجهه. لمسته بخفة على كتفه، وقالت بهدوء مخترقة الصمت: «أعتقد أن هذا المكان هو أجمل مكان في العالم. لطالما أحببت جنوب أميركا، لكن هذا... هذا المكان. لا بد أنه كالجنة».

سمع ليون نبرة الشوق في صوتها. إنها تريد الأماكن الجميلة، والعواطف الجميلة مرة ثانية في حياتها.. لقد مرت سنوات عشر طويلة جداً عليهما معاً..

www.elromancia.com

سألته وهي تنظر إليه: «هل زار كليف يوماً آغوزو؟».

هز رأسه وقال: «لا أعتقد ذلك».

- كان ليحب هذا المكان هنا، أليس كذلك؟

رأت صوفي ليون يهز رأسه، ويقف مصغياً إلى صوت النهر وإلى خرير الماء المتساقط من الشلالات عن بعد. شعرت بأغرب العواطف تجتاحها؛ موجة بعد موجة من الشوق والأسف والقهر والندم. عندما التقوا جميعاً في البداية، كان هناك الكثير من الطاقة والقوة لديهم... والكثير الكثير من الأمل.

قالت بعد لحظة، وهي تبتلع غصة كبيرة في حلقها: «لم يكن زواجنا ناضجاً، لكنني متأكدة أنك تعرف ذلك، من المحتمل أنه أخبرك».

- مطلقاً، أبداً.

عضت على خدها من الداخل وهي تستوعب ما قالته وسمعته.

- كنا نتشاجر دائماً...

تنفست ببطء، فلقد وجدت الكلام عن هذا الأمر أصعب بكثير مما كانت تتوقع.

- لم نكن مناسبين لبعضنا، ليس كما توقعنا أن نكون. أعتقد أنني وكليف كنا دائماً متفاهمين بسبب وجودك بقربنا. أنت الجزء الذي قرّبنا من بعضنا. لكن ما إن تزوجنا، حتى اختفيت. أنا وكليف لم نكن نستطيع حتى التحدث مع بعضنا. كان يبدو حزيناً جداً، ليون كان يبدو ضائعاً... وأنا أيضاً كنت ضائعة.

بقي ليون صامتاً، وشعرت صوفي كأن هموم العالم كلها ملقاة على رأسها، وتثقل عليها وتهددها بالانهيار.

- أتذكر في مالروز كورت، عندما قلت لي إنني قمت بارتكاب الكثير من الأخطاء؟ كنت محقاً بذلك. ما كان عليَّ الزواج أبداً من كليف. ندمت على ذلك منذ اللحظة الأولى. ندمت على قولي نعم بعد ساعة واحدة من طلبه يدي. وأمضيت عمري وأنا نادمة على قراري ذلك... في كل ساعة وفي كل يوم عشته.

عضت على شفتيها وهي تحدق بقدميها، وعيناها مليئتان بالدموع، ثم تابعت: «كان عليَّ أن أنهي ذلك الزواج، حتى قبل أن نصبح زوجين. لكنني

كنت أحب والد كليف، ولم أكن أرغب في أن يصاب بخيبة أمل بسببي».

- ولم تكوني راغبة في أن تكوني حرة، لأنك بذلك ستجبرين على التعامل معي.

سقطت دمعة على خدها وقالت: «لم أكن أدرك ما هي مسؤوليات الزواج. ولم أكن أدرك كيف ستكون حياتي بعد ذلك».

نظرت إلى رأس ليون. كان شعره يلمع تحت أشعة الشمس، وشعرت بالشوق لتلمس شعره الكثيف، ولتمرر أصابعها خلاله حتى تصل يدها إلى رقبته. وبدلاً من أن تفعل ذلك عقدت أصابعها داخل راحتي يديها، لتقاوم إحساسها الكبير الذي يجتاحها كالطوفان. آه، لو تستطيع أن تكون شابة ثانية، لتتمكن من أن تحب، ولتحظى بفرصة لاتخاذ القرارات المناسبة منذ البداية.

قالت بعد لحظة: «لا أعتقد أنني شكرتك لأنك أتيت إلى الجنازة. لم أقل لك ذلك أبداً، لكنني كنت سعيدة حقاً بوجودك. ما كنت لأستطيع تحمل ما حدث بدونك».

وقف ليون وهو يقول: «ما كنت أستطيع غير ذلك».

- نعم، لكنك أتيت لحضور الجنازة من سانتياغو أو من بونس آيرس، أو من أي مكان آخر، وما عدا التحدث إليّ في الكنيسة، لم نحظ بأية فرصة أخرى للتحدث.

تغضنت جبهته، وسألها: «ألم نتحدث مع بعضنا بعد انتهاء المراسم؟».

- أنت لا تتذكر؟

- كان يوماً صعباً جداً.

هذا صحيح! فالكونتيسة كانت تبكي بشدة وهناك مئات الأشخاص الذين شاركوا في المراسم. بالإضافة إلى عدد كبير من الصحافيين والمصورين الذين كانوا يتجولون في المكان. وصل آلونسو إلى الكاتدرائية وهو شاحب ومنطوٍ على نفسه.

الآن وهي تفكر في ذلك اليوم، شعرت بالحزن على فقدانها كليف.

- حاول كثيراً... أن يكون جيداً معي.

- كان بإمكانه أن يكون أفضل.
- يمكنك قول ذلك عن أي كان.
- لا، أنا أقول ذلك بالتحديد عن كليف.

وتابع ليون بصراحة: «أنت تستحقين الأفضل، وتستحقين أكثر مما قدمه لك».

شعرت صوفي بألم في معدتها، وقالت: «لم يكن يريد أن يموت. كان ما يزال شاباً ولديه أحلام كبيرة».

- وتلك الأحلام الكبيرة كانت أكثر أهمية منك.
- لا يمكنك أن تعيش حياتك من خلال شخص آخر. كان كليف يحبني، لكن كانت لديه أعمال عليه القيام بها. ولديه أهداف...
- اسمعي ما تقولينه!

اقترب منها ووضع يديه على كتفيها وهو يتابع: «أحقاً تصدقين هذا الكلام السخيف الذي تقولينه لنفسك؟ أحقاً تصدقين أن مطاردة أحلامه في أنحاء العالم أكثر قيمة من الوقت الذي تمضيانه معاً؟».

شعرت كأنه لكمها على صدرها. لم يكن هناك من مجال لتجيبه على سؤاله.

قال وهو يهزها برفق: «سأقول لك ما الذي أفكر فيه. لو كنت زوجتي، ما كنت لأتركك ورائي من أجل أي شيء. وكنت لأعتز بكل دقيقة أمضيها معك. كنت لأهتم بمشاعرك وعواطفك وأهتم كثيراً بما تحتاجينه لأتأكد أنك سعيدة، محبوبة، وراضية».

أغمضت صوفي عينيها.

تابع ليون يقول بخشونة: «لو كنت امرأتي، ما كنت لأرسلك إلى السرير من دون أن أعانقك وأعلن لك حبي، وما كنت لأذهب إلى العمل من دون أن أجعلك تعرفين أنك أهم شيء في حياتي، وأن حياتي بدونك فارغة... حياتي بدونك لا شيء».

لم تستطع صوفي أن تمنع دموعها من الانهمار. سالت دموعها حارة من تحت رموشها، وقالت: «لا يمكنك قول ذلك».

- بل يمكنني. هذا ما شعرت به منذ اليوم الأول للقائنا. كنت جميلة جداً، وذكية جداً. لا فكرة لديك كم بدوت ذكية ومرحة. كنت قد زرت معظم دول العالم برفقة والدك المسافر دائماً. فكلما استلم عملاً جديداً. كان يضعك في مدرسة جديدة. ومن خلال ما قلته. كنت تتمكنين من التعامل مع كل جديد بمهارة واحتراف.
- كنت أكره ذلك.

فتحت عينيها وأخذت نفساً سريعاً كي تمنع دموعها من التساقط مجدداً.

- لكنك كنت كذلك. كنت تعملين على جعل حياة والدك سهلة جداً، كما جعلت حياة كليف سهلة جداً أيضاً. كلاهما تركاك وراءهما، واهتممت بنفسك جيداً. رحت تشغلين وقتك بالكثير من الأعمال. وحاولت أن تكوني سعيدة ولطيفة، وكان ذاك يقتلني.. وما زال يقتلني حتى الآن. لماذا لم تطلبي أبداً المزيد؟ كيف يمكن ألاّ تعرفي أنك تستحقين المزيد؟

مدّ يده من تحت شعرها الكثيف ليلمس عنقها، ويضغط بأصابعه على مؤخرة رأسها.

ثم قال بصوت منخفض وهو يحرك أصابعه بنعومة على رأسها: «اطلبي المزيد، صوفي.. ارغبي بالمزيد. لا يمكنك الحصول على المزيد إن لم تصري على الحصول عليه».

داعب بإبهامه عنقها، فشعرت بإحساس ناعم على بشرتها الحارة.

- قولي لي إنك تريدين المزيد، وإنك تستحقين المزيد.

همست: «أمي اعتقدت أنها تستحق المزيد، وانظر ماذا حدث لعائلتنا، تطلقت من أبي وانتهت بالزواج من رجل آخر، وأنشأت عائلة أخرى».

- أنت لست كأمك.

رفعت نظرها إلى آلونسو. بدت عيناه مليئتين بالتصميم والدفء والعاطفة... مشاعر لم ترَ مثلها أي رجل آخر، مع أن آلونسو لا يشبه أي رجل آخر... إنه أكثر قوة، وأكثر بأساً، وأكثر عناداً.

- كيف تعرف ذلك؟

قال وهو يجلس: «أنت تعتقدين أنني لا أعرفك».

جاء صوته عميقاً وأجش، فبدا لها كالشراب الدافىء الذي ينسكب على بشرتها ويسير في عروقها.

التوى فمه عن ابتسامة وهو يتابع: «أنت تعتقدين أنني مجرد أحمق عندما يتعلق الأمر بك. لكنني حقاً أعرفك، وأنا أعرف لماذا أحبك. أحبك لأنك تضحكين على نفسك، وأحبك لأنك تهتمين كثيراً بكل من تعرفين. وأحبك لأنك تعطين الناس فرصة ثانية وثالثة... حتى أنا».

- لا!

- بلى! أنت تعطينني فرصة جديدة في هذه اللحظة بالذات.

ابتسم فجأة، فشعرت صوفي أن قلبها قد أصبح في حلقها. كانت قد نسيت كم هي ابتسامة ألونسو هانتسمان مدمرة. إنه يبدو وسيماً وجميلاً عندما يريد ذلك.. ولا يمكن نسيانه، أيضاً.

- لا! لا أستطيع. فأنا أخاف منك.

سألها بصوت عميق: «كيف يمكن لك أن تخافي مني؟ من المفترض أنني أحد أفضل أصدقائك».

أصبحت ملامح وجهه أكثر رقة، وتعابيره بعيدة وكأنه يتذكر كيف كانوا يعيشون في بوغوتا.

قالت بنعومة، بدون أن يظهر أي لوم في صوتها: «كان من المفترض أن نبقى أصدقاء. كان من المفترض أن نصبح عجائز ونحن أصدقاء».

شعرت بالاحتراق في عينيها مرة ثانية فاستدارت، لأنها لم تشأ أن يرى ليون دموعها ثانية. شعرت كأنها ستتحول إلى أشلاء هنا. هناك شيء ما يتعلق بليون والحرارة... بالسماء الزرقاء والجمال الفاتن للمناطق الاستوائية...

بدا الأمر صعباً جداً عليها، فهي ما زالت تهتم بليون إلى حد بعيد، وما زالت تشعر بالكثير وهي بقربه. لكن بقيت هناك مشكلة كليف، ومشكلة وفائها له. عليها أن تكون صادقة وحقيقية حتى لو لم تكن الأمور مثالية بينهما.

فركت جبهتها وهي تشعر بالوهن. شعرت أن هذه الأشياء كلها تغمرها

وتسيطر عليها. هل كانت حفلة لويزا للميلاد منذ يومين فقط؟ هل أمضت في البرازيل يوماً ونصف اليوم فقط؟

قال ليون: «أنت متعبة، وبحاجة لأن تأكلي شيئاً، ولكي تنامي قليلاً».

صوته المتعاطف لم يخفف مطلقاً من الغصة التي ملأت حنجرتها. أجابت: «أنت أيضاً لم تنم».

رمشت بعينيها لتبعد دموعها. ما الأمر مع ليون بكل الأحوال؟ لماذا لم تكن هناك أي حلول بينهما؟

بدت تعابير وجهه لطيفة وهو يجيبها: «نعم، لكنني معتاد على تحمل البقاء قوياً بدون نوم».

سار نحو الرزمة التي علقها على أحد أغصان الشجر، مدَّ يده في داخلها وسحب عدداً من اللفائف.

- اجلسي على الأرجوحة، وتناولي هذا الطعام، وارتاحي قليلاً. ربت على الفراش الملفوف على الأرض بجانبه وتابع: «ارتاحي. سأجلس هنا لأراقب المكان».

كانت متعبة جداً، ما منعها من مجادلته. وبعد أن تناولت قطعة أخرى من البروتين ورزمة من قطع الحلوى التي قدمها لها، تمددت على الأرجوحة، وراحت تتأمل جسم ليون الكبير والقوي. لم تعرف صوفي أحداً بمثل قوته، بقدراته البدنية، وبذكائه الوقاد وعاطفته الجارفة.

همست لنفسها: «إنه سوبرمان!» وعادت تتأمل شعره الأسود الأشعث الذي يحيط بوجهه.

سألته بصوت متكاسل: «أنت لست متورطاً بمشاكل مع الحكومة، لأنك تعمل لدى الحكومة، أليس كذلك؟».

رفع حاجبيه وقال: «من أخبرك بذلك؟».

- كليف.

بالطبع كليف...

فكر ليون وهو يراقب صوفي وهي نائمة: كليف.. أيها الشقي! ما الذي

www.elromancia.com

فعلته بنا؟ ليست صوفي الوحيدة التي لا تستطيع أن تنساك!

ما زال ليون حتى اللحظة يجهل كيف سيتمكن من إبعاد ذكرى كليف عن صوفي. من السهل عليه أن يخبرها الحقائق والوقائع كما حدثت، لديه أدلة وبراهين في مكتبه في بونس آيرس. بإمكانه أن يجعلها ترى انحداره الكبير، وعقود العمل التي أدت إلى انهياره، وحاجاته المادية التي أغرقته، وبيع حصته إلى فالديز والتي كانت السبب في تشويه سمعته. لكن هذه الوقائع ستحطم صوفي. تباً! فهذه الحقائق حطمته كلياً.

هو يفهم لمَ تريد صوفي الاستمرار بالوثوق والإيمان بكليف. كانت تحب كليف الذي تعرّفت عليه وهي مراهقة، وليون يفهم ذلك أكثر من أي شخص آخر. فالألم من خسارة شخص مكمل لحياتك قاس جداً.

لم تكن صوفي الوحيدة التي تحب كليف. فكليف بالنسبة إليه الأخ الذي لم يحظَ به يوماً. فكليف قدم له حباً كبيراً، ونوعاً من التقبل لم يجده حتى داخل عائلته.

تنهد ليون ومرر يده في شعره. يا إلهي! إنه ما يزال يفتقد كليف في بعض الأوقات. فهو لم يحظ يوماً بصديق ككليف، ويشك بأن يجد صديقاً مثله مرة ثانية.

لطالما مرت أوقات تمنى ليون فيها أن يسمع ضحكة كليف مرة أخرى. كان كليف يملك أفضل ضحكة.. ضحكة صادقة نابعة من القلب... ضحكة لم يتوقعها أحد من ابن إيرل وصاحب لقب في إنكلترا، أو من صاحب شعر أشقر أزرق العينين يجيد لعب البولو وهو في الخامسة عشرة من عمره. لكن كليف كان يفوق الوصف، ويفوق أي شخص آخر...

ابتسم ليون بضعف. ربما لهذا السبب بالذات تشكل رباط قوي بينهما. هو وكليف كانا ثائرين من أعماقهما، وكلاهما أرادا أن يحددا حياتهما بنفسيهما.

لم يرغب كليف أبداً باستلام أعمال العائلة؛ أعمال المصارف مناسبة للمملين. هذا ما اعتاد قوله. واتسعت ابتسامة ليون... لكن في النهاية، استلم كليف زمام الأعمال في مصرف انكلترا، وقام بعمله بطريقة جيدة، أو

على الأقل، هذا ما فعله في البداية. إلا أنه لم يتحمل العمل الروتيني، وعدم وجود أية مخاطر، والعمل لساعات طويلة رتيبة. أراد أن يمسك قدره بيده. وبشكل لا حدود له، أراد أن يعمل لنفسه.

سامحه الله! استثمر كليف أمواله في كل الأشياء الخاطئة. في وقت ما، بدت له المتاجرة عبر الكومبيوتر والبورصة مغامرة واعدة، لكن عندما بدأت الأسواق بالانهيار، فقد كل ما استثمره، وفوقه أضعاف مضاعفة.

وتلك الخسارة دمرته؛ خسر مدخرات أمه وتأمين والده على الحياة، وهذا دفع به إلى أقصى الحدود. كان بإمكانه أن يتحمل الفقر، وكذلك صوفي، لكن كيف بإمكانه أن يخبر أمه، الكونتيسة المتكبرة، أنه خسر كل شيء تملكه؟

لذلك عقد كليف صفقة مع فالديز؛ من خلال علاقات عائلته الخالية من الأخطاء والعيوب، والتي تمسك بحسابات الحكومة والمؤسسات التابعة لها، كان كليف يعلم متى سيتم تحويل الأموال إلى حسابات بعض الحكومات الخاصة في أميركا اللاتينية وكان يعلم أيضاً متى سيعمل الموظفون على جمع المال من مختلف فروع مصارف أميركا اللاتينية. مقابل ثلاثة ملايين جنيه، أعطى كليف فالديز أسماء وعناوين المصارف، حيث تقوم الحكومات بنفسها بحماية الموظفين أثناء تنقلاتهم.

كما حصل على مليون جنيه مقابل اسم كل عميل لدى المملكة المتحدة البريطانية وليون كان واحداً من هؤلاء العملاء في الفرقة رقم من الشرطة.

٨ - أرجوحة، قمر وعناق...

استيقظت صوفي أثناء الليل والضوء الوحيد الذي رأته هو نور القمر الأبيض المنتشر حولها. تمدّدت، واستدارت لتبحث عن ليون. وسرعان ما رأته يجلس بقربها، يراقب المكان كما وعدها.

ترنحت الأرجوحة الشبكية بلطف عندما استلقت على جنبها.

- كم الساعة الآن؟

- إنها تقارب الرابعة والنصف.

فركت صوفي عينيها لقد نامت بالفعل لست أو سبع ساعات متواصلة.

- لا بد أنك مرهق.

- إنني بخير.

فكرت أن ليون لم يتذمر يوماً. شعرت بإحساس غريب من الحماية بقربه. لقد عاشت فترة صعبة جداً في آلمزهرت، لكنه عاش فترة أصعب في لانجلي.

آلونسو الصبي المتمرد، والأكثر عناداً. الجميع كان يعلم أن أمه تزوجت من رجل لديه عائلة أخرى، وأن السيد ميكانا هو مجرد أب بديل. لطالما لاحق الأولاد آلونسو بأسئلتهم المحرجة، لكن ليون لم يقل مرة كلمة واحدة، كان فقط يهرب للقيام بالتمارين الرياضية، أو إلى موسيقاه.

لا أحد يستطيع القرع على عدد من الطبول معاً كآلونسو. ولو أراد لاستطاع أن يكون عازفاً محترفاً. وبدلاً من القيام بذلك دخل الجامعة، ثم التحق بالطيران الحربي الملكي.

سألته وهي تجلس: «هل ما زلت تعزف على الطبول؟ لن أنسى أبداً حين عزفت لي عندما زرتُ لانجلي. كنت تحب تلك المجموعة من الطبول».

- وعمل مدير المدرسة على حرماني منها بعد مضي أسبوع واحد على تلك الحادثة.

طوت صوفي الغطاء وقالت: «لكنك تجيد العزف على عدد من الآلات الموسيقية بأي حال. فأنت تعزف على أية آلة تصل إلى يديك. وهذا ما كان يثير جنون كليف».

انزلقت من الأرجوحة وركعت بجانبه. رفعت كم قميصه ورأت أن الطبقة العليا من الشاش ما تزال بيضاء اللون، فشعرت بالراحة فوراً. لم يصل النزيف إليها.

كنت ذكياً جداً ويمكنك القيام بكل شيء بمهارة.

تقوس حاجبا ليون وهو يراقبها، بينما راحت هي تعيد كمه إلى وضعه السابق، لتغطي الضمادة.

- لم يكن هناك أي شيء سهل بالنسبة إلي. كان عليَّ العمل بقوة للوصول إلى أي هدف ولطالما لاحقتني المشاكل أينما توجهت؛ مع كل مدرسة، مع كل تلميذ قوي، ومع كل مدير مدرسة.

- هذا لأنك قوي، ولديك شخصية قوية. كما أنك تملك قيماً ومُثُلاً، ووجهات نظر خاصة بالنسبة للحياة.

مررت يدها في شعرها وتابعت: «أنت تخيف الناس، ليون».

ابتسم ليون ونظر إلى الأسفل نظرة لا تخلو من الاعتزاز بالنفس. أضافت وهي تحرك أصابعها: «وهذا ما يثير غضب الناس، فأنت تبدو كمن يقوم بدور الرجل السيء».

رفع كتفيه وقال: «هذا عمل مسلٍ. ساعدني في ذلك أنني لا أثق بالناس بسهولة».

- حسناً، ربما عليك أن تثق بي. أنا سأراقب الآن.

رمت الغطاء المطوي إليه وتابعت: «سوف تأخذ الآن قسطاً من الراحة، وتنام قليلاً».

شخر قائلاً: «هل تعتقدين أنني سأثق بك بعد كل ما فعلته هذا الأسبوع».

www.elromancia.com

حسناً! هذه نقطة هامة لصالحه. لكن في الحقيقة، ما الذي تستطيع القيام به الآن؟ إلى أين يمكنها الذهاب؟

- لا أملك وسائل للقيام بأية حيلة تحت كمي.

ابتسم ليون ابتسامة صغيرة، وجلس على الأرجوحة وهو يقول: «ربما عليَّ أن أجعلك تجلسين على الأرجوحة معي هنا».

- ما من حاجة لذلك.

ضحك بنعومة وقال: «النعامة الصغيرة الجبانة!».

- لن ينجح كلامك هذا، فأنا محصنة ضد هذا التوبيخ الساخر.

جلست في المكان الذي كان يجلس فيه، على الرمل تحت الستار، لفت ذراعيها حول ركبتيها، وأخذت تنظر إليه بامعان. لاحظت ملامح وجهه القاسية، وحاجبيه الكثيفين، وفكه العريض. لاحظت أن ملامح وجهه كلها تنم عن بعض الاكتئاب...

فكرت صوفي أنه ليس وسيماً بالمعنى التقليدي للكلمة. فلا مجال أن يقال عنه إنه وسيم. ليس بوجهه الذي يبدو وكأنه بُري من الحجر، ثم تعرض لبعض الضربات لإظهار مقاييسه المتناسقة.

- صوفي؟

التف صوت آلونسو الأجش حول قلبها كالملزمة، فأغمضت عينيها، وحبست أنفاسها، لأنها تعرف في أعماق أعماقها أنه كان دائماً يريدها. قالت بصوت خافت: «ظننت أنك نائم».

- لا أشعر بالنعاس.

هزت رأسها محاولة تجاهله، علّها تجبره على الصمت. فهي تشعر بالخوف مما سيقوله همست: «كفاك كلاماً!».

فجأة شعرت بالحرارة تجتاحها وبأن جلدها يضيق عليها، وبجسمها يغدو ثقيلاً بشكل غريب.

- هذا لن ينجح أبداً ليون. لم ينجح في السابق ولن ينجح الآن.

ببطء، نظرت صوفي إلى الأعلى، وكان ليون ينتظرها... ويراقبها.. لم

تعتقد أنها تستطيع النظر إلى عينيه الغامضتين. لا يمكنها أن تواجه ما قد تراه هناك. لم يشعر مرة ليون بعاطفة بسيطة أو رغبة في السخرية، فعواطفه عميقة جداً، وقوية جداً. وقوته هذه تخيفها. بإمكانه أن ينقل الجبال من مكانها ليصل إلى من يحب. سيمزق العالم إلى أشلاء في البحث عن نصفه الضائع.. وهي نصفه الضائع.

شعرت بنظرته المحدقة بها، و شعرت بقوة نظراته تناديها. أحنت كتفيها، وأدارت رأسها، رافضة الاقتراب منه. لكنه بقي بانتظارها...

التقت عيناها الواسعتان بعيني آلونسو، وحدقا ببعضهما البعض بقوة وشوق. كان كليف عقبة مؤقتة بينهما، مجرد صورة على الطريق. ولا شك أن آلونسو رجل صبور، وهو ينتظر الفرصة المناسبة.

لقد انتظر، بتصميم، وعزم وعناد... انتظر سبعة عشر عاماً، من أجلها...

شعرت بعاطفة كبيرة تسيطر عليها وسألته: «ما الذي تريده؟».

أخذ قلبها يضرب بقوة أكبر، وشعرت بجفاف في فمها. ضغطت على يديها وهمست: «قل شيئاً».

تحركت عضلات وجهه وهز رأسه، وقد أصبحت عيناه أكثر غموضاً. كادت تقسم أنها رأت بعض المرح في عينيه. مرح وخطر معاً. لم يساعدها أنه جعلها تشعر بأكثر العواطف قوة بالنسبة إليها. وهمست: «ليون!».

مدَّ يده ثم أمسك بذقنها، ليرفع رأسها إليه. بدت لمسته دافئة ما جعلها تشعر بحرارة كبرى، وكأن أصابعه ألسنة من النار على بشرتها.

- أي جواب تريدينه هذه المرة، حبيبتي؟

أجفلت، وحاولت أن تبتعد عنه: «لا تنادني هكذا».

لكنه لم يسمح لها بالابتعاد، فقال: «لكنك كذلك».

- لا!

ابتسم ليون ومع ذلك شعرت بقوته. كل ما فيه ينضح بالطاقة والقوة. قال: «هذا ما كنته على الدوام، وما زلت كذلك».

www.elromancia.com

ارتفع ضغط دمها، وتسارعت دقات قلبها. عليها أن تبعده عنها، بشكل دائم.

- لم أكن يوماً لك.

- لقد عانقتك مرة.

- كان مجرد عناق لا أكثر.

- بل كان أكثر من ذلك.

فجأة شدها نحوه ليجلسها بقربه على الأرجوحة. شعرت صوفي باضطراب كبير لقربها من جسمه الدافىء القوي. لامس وجهها بيده، وبصوت أجش، قال يؤكد لها: «أنا أعرف الحقيقة، وأنت كذلك».

شعرت كأنها وقعت في الشرك. في الماضي البعيد كان بإمكان ليون أن يضرب الطابة لتصل إلى مكان لا يستطيع أحد سواه إصابته، وأن يحل مسألة رياضية أسرع من أي تلميذ آخر، وأن يجعلها تضحك بسرعة ولفترة أطول، لكنه أيضاً يجعلها تفكر كثيراً وتشعر بأحاسيس مختلفة كثيراً، كما يحدث معها الآن تماماً.

الشوق الصريح في عيني ليون جعلها تشعر بأحاسيس قوية في داخلها، وكأن طاقة جسمها بأكمله أصبحت في وجهها وبين يديه. هكذا تشعر مع ليون دائماً بأي حال. تشعر بالكثير من التوتر والعاطفة، من الخوف والحماس، من الشوق والاحباط، من الاستياء والترقب. فهو لا يشبه أي شخص آخر.

حبست أنفاسها وهي تقول: «من الأفضل أن تتوقف».

قلبها الذي كان يضرب بقوة منذ لحظة، أصبح يدق ببطء شديد. فكرت أنه يجعلها تشعر بحرارة كالحمم الملتهبة، وهذا خطر كبير عليها... إنه خطر جداً.

إنه لا يريد أن يصل إليها فقط، كما فكرت برعب. إنه يريد أن يسيطر على كيانها. عندها لن تتمكن مطلقاً من الاحتفاظ بعواطفها وأحاسيسها في داخلها. لمس بأصابعه شفتيها وهمس قائلاً: «ما أسوأ أمر يمكن حدوثه إذا عانقتك؟».

وعانقها... شعرت كأن آلاف من الفراشات راحت تتطاير في داخلها وأجنحتها تلمع باللونين الأحمر والذهبي. شعرت صوفي كأنها تطير خارج نفسها...

شعرت أنها لم تكن حية من قبل. وأدركت أنها بالكاد سوف تعرف نفسها بعد الآن، فعناق ليون أثر فيها بشكل لا يوصف.

عندما رفع رأسه فكرت وهي مخطوفة الأنفاس، أن لا أحد عانقها هكذا من قبل.

بالطبع هي لم تعانق إلا كليف، لكن عندما عانقها ليون، لم يكن ذلك عناقاً عادياً. إنه كالتنفس، كالإحساس.. شعرت أنها حية بالفعل، ولأول مرة في حياتها.

كرر: «الحقيقة... تذكري صوفي. الحقيقة هي كل ما لدينا».

الحقيقة!

تعثرت صوفي وهي تسير عدة خطوات مبتعدة عنه. شعرت بضعف في ساقيها، وبخدر في جسمها، وبارتجاف في كيانها بأكمله. ما كان يفترض بها أن تتجاوب معه على هذا النحو..

سألها وهو يمد ذراعيه وراء رأسه: «هل أنت بخير؟».

علت وجهه ابتسامة، وبدا سعيداً بكل دقيقة من إحساسها بالعذاب.

ضغطت صوفي بأظافرها في راحتي يديها وقالت: «لِمَ لا تنام؟».

أما هي فبقيت يقظة لِما تبقى من الليل. وفي الظلام، بدا خرير الشلالات كأصداء الموسيقى، صادحاً في غابة المطر.

لوت صوفي أصابعها وضغطت بها على ركبتيها. إنها تريد المزيد من زمن بعيد جداً، وطلب المزيد كان دائماً يخيفها. لكن ربما طلب المزيد ليس أمراً سيئاً. ربما طلب المزيد ليس أمراً أنانياً أو انتقامياً. فهو قد يحررها من العيش تحت ظل حمائها، وربما يمكنها أن تبدأ بعمل ما.

ربما طلبها المزيد سيخولها الذهاب للعمل في البلاد الغريبة كوالدها. ستحب كثيراً أن تعمل كدبلوماسية، أو ملحقة في سفارة. فهي تجيد التحدث

www.elromancia.com

بأربع لغات، ثلاثاً منها تجيدها بدرجة جيد جداً؛ الألمانية، الإسبانية، والفرنسية. كما أنها تفهم قليلاً من اللغة الروسية لأنها أمضت أوائل سنين عمرها مع والدها في موسكو.

أية حياة صعبة قد عاشتها! لم تكن تحب تلك الحياة عندما كانت يافعة، كرهت التنقل والسفر، وتلك المدارس الداخلية. كرهت المعلمين والدروس المكثفة لتعلم اللغات الجديدة. لطالما وجدت نفسها، هي ووالدها، في بيئة جديدة، حيث لا أحد يجيد التحدث باللغة الإنكليزية، ما يجعلها في أمس الحاجة إلى تعلم لغة جديدة، حيث كل فكرة وكل حاجة يعبر عنها باللغة الجديدة.

راقبت صوفي الشمس تشرق من وراء الأفق الكثيف بالغابات الخضراء، وأصبح خرير ماء الشلالات أعلى وأقوى. وكأن شيئاً ما ظل ساكناً في داخلها، وانبعث الآن حياً. ليس هناك عدد كبير من الفتيات الأميركيات اللواتي تمكنّ من مشاهدة ما شاهدنه أو قمن بما قامت به. وما من سبب لتشعر أن المغامرة قد انتهت. ما من سبب على الإطلاق!.

استيقظ ليون بعد مرور ساعات على بزوغ الفجر. وفجأة، بات الصباح الهادىء مليئاً بالطاقة، وعاودها التوتر. لكنها صممت على إبقاء مسافة بينهما، فهي لا تريد تكرار عناق ليلة الأمس.

لقد أثر بها ذلك العناق بطريقة ما، هذا ما فكرت به صوفي وهي جالسة تحدث نفسها، تحت ظل الشجرة في مكان ليس ببعيد عن حافة النهر. لقد جعلها تشعر بالشوق والحنين لمدة ساعات، بعد أن استسلم ليون للنوم.

حاولت أن تركز نظراتها على الفراشات التي تلاحق بعضها البعض، صفراء وبيضاء اللون، أو زرقاء ملفتة للنظر وعليها بقع خضراء، لكنها مع ذلك لم تستطع تجاهل ثقل نظرات ليون عليها. أدركت أنه يراقبها، وأنه يتسلى حقاً من محاولتها أن تبقى بعيدة عنه.

حسناً! ليتسلى قدر ما يشاء. لن تسمح بأن يغويها ليون، أو أن تشعر بالشوق إليه.

أصبح الهواء أكثر كثافة، وأصبح مزاج صوفي أكثر سوءاً. بالإضافة إلى شعورها بالحرارة والجوع، شعرت أنها بحاجة لأن تبتعد عن ليون.

كيف يمكن للنهار أن يستمر طوال هذا الوقت؟ وكيف يمكنها أن تستيقظ غداً وتتحمل هذا الانتظار المخيف مرة ثانية؟ إنها بحاجة إلى المطر، مطر استوائي غزير ليبعد عنها هذه الرطوبة. لم تعد تهتم للضغط القوي الذي يتفاعل في داخلها بقسوة، فهي تنتمي إلى الأماكن الباردة الهادئة لا إلى هذا المكان الرطب الحار كالجحيم، والذي يبدو قوياً وجافاً كألونسو نفسه.

حسناً! هل هذه نسمة هواء؟ رفعت وجهها بلهفة وأمسكت بياقة قميصها. الإحساس بالهواء المتحرك عذبها، وعندما فتحت عينيها كانت أغصان النخيل جامدة. لم تكن هناك أية ورقة على الأشجار تتحرك.

سار ليون ببطء نحوها وهو يضع يديه في جيبي بنطلونه، وقال: «تبدين بحالة بائسة جداً، حبيبتي».

صرّت أسنانها ببعضها، وقالت: «أشعر بحرارة شديدة».

ووجودك لا يساعدني، هانتسمان. تابعت قائلة ذلك في سرها. ابتسم وهو يعلم تماماً ما الذي يفعله بها. لكنه مع ذلك تظاهر بعدم المعرفة، وقال: «كتلة من السحاب تحمل عواطف رعدية تتجه نحونا، ولهذا السبب هناك رطوبة وحرارة قويتان».

- هذا رائع.

- سيصبح الطقس أكثر برودة بعد وصول العاصفة. لكنها ما زالت بعيدة عنا لعدة ساعات، وهذا يعتمد على سرعة الريح.

سألته: «أية ريح؟».

رفعت رأسها لتنظر إلى الأعلى، وأدركت بعد فوات الأوان أن هذا ما كان بانتظاره بالتحديد. إنه يريدها أن تنظر إليه. يريدها أن ترى وميض الحرارة في عينيه، وأن تشعر بمقدار ضئيل من تلك النيران التي أحسّتها في عناقه ليلة البارحة، والتي تشعر بها في كل مرة ينظر إليها.

لم تفكر مرة أنها تستطيع التعامل مع ليون، أو مع القدرة التي يملكها، ومع ذلك عندما عانقها على الأرجوحة، شعرت أن عناقه رائع. عناقه المليء بالقوة والعاطفة جعلها تنسى الخوف وتشعر أنها قادرة على امتلاك الدنيا بأسرها.

لم يستطع ليون إخفاء ابتسامته. وقال: «لا تتزعجي، صوفي. ليس عليك أن تخشي معانقتي».

حدقت بقوة بوجهه. تفحصت بعينيها قسماته الصلبة والتواء شفتيه.

ما أدركته وهي على الأرجوحة وذراعي ليون تحيطان بها، هو أنها حقاً تريد رجلاً يريدها ويحتاجها. تريد رجلاً يحبها ويعدها بأنه سيستمر على حبها حتى تصبح في السبعين من عمرها، ويغدو شعرها رمادياً ووجهها مجعداً.

تجمعت دموع حارة في عينيها، وشعرت بغصة في حلقها وباضطراب في كيانها بأكمله، وذلك كله بسبب ليون.

- ألا تشعر بأية رغبة في الاعتذار؟

- لا، على الاطلاق! يسعدني أنني عانقتك، وأحب أن أفعل ذلك ثانية.

التوت شفتاه في ابتسامة صغيرة، وشعرت صوفي أنه يستمتع بحديثهما.

أضاف بعد قليل من التردد: «في الواقع.. أعتقد أنني سأعانقك الآن».

ثم انحنى ببطء ليعانقها بنعومة عناقاً هادئاً. ومع ذلك، شعرت بموجة تلو موجة من الأحاسيس الجارفة تجتاحها. شعرت بوخز في جسمها وبحرارة كالطوفان في داخلها. قالت لنفسها: إنه مجرد عناق! لكن ليساعدها الله...

رفع ليون رأسه، ولامس خدها بإبهامه برفق. عناقه هذا تركها مخطوفة الأنفاس. التوت شفتاه، ليقول برضى واضح: «حتى إنه أفضل من عناقنا الأول».

ترنحت على قدميها، محدقة في قميصه الخضراء، وفكرت بانبهار: نعم، إنه أفضل من عناقهما الأول.

سألها: «أتودين الذهاب إلى مكان تشعرين فيه ببعض البرودة؟».

أبقت نظراتها ثابتة على نقطة في صدره الكبير القوي. لم تكن بحاجة لكي تنظر إلى وجهه لتعلم أنه يبتسم، وسمعته يقول: «اتبعيني».

وهذا ما فعلته. شعرت كأنها تمشي في الضباب، لعلمها أنه يعرف كم أثر فيها عناقه. فكرت أنه بذلك يسترد ما عاناه لأجلها. ذلك العناق! أتكون تلك طريقته في تعذيبها؟ طريقته في الانتقام منها ببطء، متعمداً أن يجعلها تشتاق إليه لتصبح كالمجنونة بحبه؟ تساءلت، وماذا بعد؟ ليون لا يفعل شيئاً بالصدفة. ما الذي سيحدث إذا دفعها إلى عدم السيطرة على نفسها؟

بعد مرور ساعة تقريباً من تركهما لموقع المخيم، وصلا إلى عمق صخري منحدر، واستطاعت صوفي سماع خرير الماء بقوة. تقدمت خطوة، وأدركت على الفور أنها كادت تخطو في الهواء. أمسك ليون بها من الوراء وسحبها نحوه.

- أبقي ظهرك ملتصقاً بالصخرة، واتبعيني بحذر شديد.

أنزل حقيبته وتابع: «سندخل كهفاً من هنا. باب الكهف منخفض جداً. سنضطر إلى الزحف لنتمكن من الدخول. لكن ما إن نصبح في الجهة المقابلة، حتى نصبح بأمان».

نزلت على يديها وركبتيها وتبعته عبر فتحة الكهف. لم يكن يمزح عندما تحدث عن ضيق المكان. زحفا على بطنيهما وهما يتلويان، ومع أن حجم ليون هو ضعفي حجمها، إلا أنه تمكن من المرور في الأماكن الضيقة مستغرقاً نصف الوقت الذي احتاجته هي. ما من رجل يمكنه أن يكون بتلك البراعة!

ما إن انتهت من الزحف، حتى بدا لها أن خرير الماء يملأ المكان. كان الماء يتساقط من أعلى الكهف، ليمر عبر جدول إلى جانب الحائط الملون، ثم يصبح سيلاً جارفاً خارج الكهف. عبرت صوفي الممر وعادت للزحف على ركبتيها، وساعدها ليون لتجتاز ما تبقى من الطريق.

أمامهما راحت المياه تتساقط بطبقات متتابعة، وكأنها قالب حلوى في حفلة زفاف. شلالات من المياه تتساقط في كل مكان، فيما الخنشار الأخضر والطحالب تغطي سطح الصخور. صخور ضخمة سوداء تحمي البركة الدائرية الشكل، وفيها أنقى مياه يمكن للمرء أن يتخيلها. وقفا في وسط الشلالات، وابتلعت صوفي ريقها، وهزت رأسها مأخوذة بما تراه، ثم قالت: «هذا المكان يخطف الأنفاس!».

www.elromancia.com

التقت عيناه بعينيها ورأت في عينيه حرارة ولمعاناً من الشوق لا يستطيع ولا يريد أن يخفيه. اللهفة التي رأتها في عينيه جعلتها تضطرب.

قال ليون بصوت أجش، أثار رجفة في أعصابها: «إذا كنت تشعرين بالحرارة، المياة آمنة لكي تسبحي فيها، كما أن بإمكانك أن تستحمي تحت الشلال، وسوف أذهب أنا إلى الجهة الأخرى».

يا لها من فكرة جيدة! إنها بحاجة لتشعر بقليل من البرودة، فهي حقاً تشعر بالحرارة بشكل لا يحتمل. ليست حرارة الجو هي ما يزعجها، بل ذلك الانقاد في داخلها... تلك الحرارة تحت بشرتها حيث يتسارع نبضها ليضرب بعنف لم تعهده من قبل. سحبت نفسها لتصل إلى تحت الشلال، واستحمت تحت تساقط المياه الناعمة. كانت المياه باردة، لكن الضغط المتناسق على ظهرها، كتفيها ورأسها بدا رائعاً. شعرت فعلاً بالبرودة، وعادت وارتدت ملابسها تاركة حذاءها إلى وقت لاحق.

بهدوء، وجدت صوفي صخرة كبيرة فاستلقت عليها ملقية وجهها إلى الأرض، تاركة الشمس الدافئة تجفف بشرتها وشعرها.

من مكانها هذا تمكنت من رؤية ليون وهو يتسلق الصخور للخروج من البركة. أدارت رأسها، وأغمضت عينيها وهي تقول لنفسها إنها لا تريد أن تراقبه... أو أنها تريد القيام بذلك؟

رفعت رأسها وراقبته يسير بخطى واسعة، مبتعداً عن البركة والمياه تتساقط منه. شعرت بجفاف في فمها وبتسارع في دقات قلبها.

وقف آلونسو مشرفاً عليها، وسألها: «هل تشعرين بالتحسن؟».

أحنى رأسه، فراحت المياه تتساقط من شعره الأسود على رقبته وصدره وجسمه.

قالت بصوت كالصرير: «نعم».

- جيد.

رفع يده ومررها في شعره الرطب، ليبعده عن وجهه. حاولت ألا تحدق به. بدا ليون قوياً، مكتمل الصحة والرجولة.

قالت: «شكراً لك».

- إذن، هل فكرت بما فيه الكفاية باقتراحي؟

- أي اقتراح؟

- الزواج مني.

كادت تختنق بلسانها قبل أن تجيب: «لم يكن... ذلك اقتراحاً، آلونسو. لا بد أنك فقدت عقلك إن اعتقدت أنني قد أفكر بالأمر جدياً».

- لماذا؟

- لأنني...

- أرملة؟

شعرت صوفي بوجهها يحترق، وقالت: «لا! أنت لست مناسباً لي، وأنا أيضاً لست مناسبة لك. كما أنني.. لا أشعر بذلك الإحساس القوي نحوك».

شبك ذراعيه فوق صدره، وقال بنبرة ملؤها السرور: «والآن... هذه كذبة، صوفي. وأنت تعرفين ذلك».

زحفت لتتمكن من الجلوس، وقالت: «إنها ليست كذبة. لدينا نوع من الإحساس الخاص بالطبع، وربما كانت لدي مشاعر نحوك، لكن الزواج؟ هيا، ليون! كن واقعياً. أنا لن أتزوج ثانية، ومن المؤكد أنني لن أوافق على زواج مخادع منك».

٩ - أنت تخيفني

قابل ليون انفجارها العاطفي بالصمت.

فكر أنها أصبحت باردة ومجردة من العاطفة. سخر من نفسه وهو يحدق بها، ويراقب خديها اللذين توردا من أشعة الشمس وعينيها الزرقاوين اللتين أصبحتا أكثر عمقاً. لكن... ما هذه الشرارات من الأزرق الداكن والبنفسجي..؟ آه، هل هو غطىء؟

لقد أحب عناقها ليلة البارحة، وأحبه أكثر بعد ظهر هذا اليوم، حتى لو كان عناقاً خاطفاً. لكن أثناء ذلك العناق السريع، شعر بها ترتجف، وعلم أنها ستكون مشتاقة إليه عندما يتزوجان.

ربما لا تشعر صوفي بالحب نحوه، لكنها تريده. إنها فتاة غريبة جداً!

شعر بالشوق إليها وهو يتذكر نظراتها إليه وهو يخرج من البركة.. رأى المشاعر الصادقة في عينيها والشوق في نظراتها. وشعر بذلك كله عندما اقترب منها.

بإمكانها أن تقول إنها لن تتزوج ثانية، وإن زواجها منه زواج مخادع. لكنه يعلم أنه لن يكون هناك أي خداع بينهما، ولن يشوب علاقتهما أي كذب. سيكون حبهما حقيقياً، صادقاً، ويحقق لهما الكثير.

جثم ليون على الأرض أمامها، فاتسعت عيناها. حاولت صوفي أن تنسحب بسرعة إلى الوراء، لكنه لم يسمح لها بالهروب. أمسك كاحلها بيده، ما جعلها أسيرة أمامه.

لكن صوفي لم تشأ أن تستسلم بدون عراك. مدّت يديها إلى الأمام، محاولة

التمسك بأي صدع في الصخرة لتتمكن من الهروب إلا أن أصابعها الصغيرة الضعيفة لا تقارن مع قوة ألونسو الذي سحب كاحلها قليلاً، ليبقيها أمامه.

قال: «أوضحي ما قصدته بكلمة مخادع».

قالت له وهي تصرخ وقد احمر وجهها من الغضب: «مزيف!».

عض على باطن خده كي لا يضحك، وسألها: «هل تعتقدين أن حبي لك مزيف؟».

راحت صوفي تشهق، وأخذ صدرها يعلو ويهبط بسبب أنفاسها القصيرة المتلاحقة، وقالت: «لا أعلم ما الذي تقصده؟».

قال ساخراً وهو ينحني إلى الأمام واضعاً يديه على كتفيها: «ألا فكرة لديك؟».

ضمها إليه وعانقها. شعر أنها تشبه الشاي الكندي، هادئة، نظيفة. لكن ما إن عانقها حتى تحول هدوؤها إلى اضطراب واضح. فكر أنها ليست الأميرة الباردة كما تعتقد. إنها رائعة ودافئة وهي تعجبه إلى أبعد الحدود.

تمسكت صوفي بليون وهي تشعر بالدوار في رأسها وبأعصابها تتراخى. لم تستطع الاحتفاظ بهدوئها، وشعرت كأنها سوف تخرج من جلدها، وهي التي لم تكن هكذا أبداً. ما إن أمسكت به بقوة أكبر حتى ابتعد عنها ووقف. سألها وهو يمرر أصابعه بسرعة خلال شعره الأسود: «هل تشعرين بشيء الآن؟».

لم تستطع صوفي أن تلتقط أنفاسها. استلقت على الصخرة مخطوفة الأنفاس، وراحت دقات قلبها تتسارع. أجابت باختصار وهي تجلس ببطء: «لا!».

قال وهو ينحني لتلتقي نظراته بنظرات عينيها: «هذا أمر مثير للاهتمام! لو كان شعوري نحوك مخادعاً أو مزيفاً كما تقولين، لشعرت الآن بالبرودة. بل لكنت أكثر برودة من الثلج. لو لم يكن هناك حب وانجذاب متبادل بيننا، لما استطعنا القيام بذلك».

قالت: «هذا غير صحيح!».

- بلى، عزيزتي. فما جرى بيننا سببه حبي لك.

www.elromancia.com

فجأة، وقف ليون، وبدت تعابير وجهه قاسية ومجردة وهو يقول: «إذن، أنت تريدينني كما أريدك تماماً. لم يبق أمامنا سوى خاتم الزواج، وعقد الزواج، ووعد بأننا سنبقى معاً حتى آخر العمر».

راحت صوفي ترتجف من رأسها حتى أخمص قدميها. غدت بشرتها، جسمها، قلبها كأنها حمم من النار. شعرت في تلك اللحظة أنها لا تستطيع التفكير بطريقة سليمة ومنطقية. لفت ذراعيها حول ركبتيها، وقالت: «يمكنك أن تسخر مني، أنا لا أهتم».

حدق بها مفكراً، ثم قال: «أنا لا أسخر، صوفي. كانت لدي علاقات كثيرة، لكن لم أتخذ لي زوجة يوماً. أحب أن تكوني أنت زوجتي».

نهضت بسرعة على قدميها، وهي تعلم أنه يراقبها. أجبرت نفسها على السير بطريقة عادية قدر الإمكان حتى وصلت إلى المكان الذي تركت فيه حذاءها. انتعلت حذاءها وربطته بإحكام، وسارت لتلتقي بليون عند مدخل الكهف.

إنه يدرك بلا شك أنها في فوضى عارمة، ويعلم أنها لا تستطيع تحمل تلك العواطف المتضاربة، وهذا النوع من التوتر.

همست لنفسها: لن تتمكني من التخلص منه هذه المرة، صوفي. لكنها لا تريد فعلاً التخلص منه، كل ما في الأمر أنها تريده بشروطها. تريد حياة سهلة مريحة... رفعت نظرها لتنظر إلى ملامح وجهه القاسية. الزواج من ليون لا يناسب مطلقاً ما ترغبه من السهولة أو الراحة في الحياة. سألها وقد برزت نبرة مميزة في صوته: «ما الذي يخيفك فيّ؟».

من المؤسف أنه يجيد قراءة ما تفكر به. سحبت ربطة الشعر من جيب بنطلونها وعقدت شعرها على شكل ذيل فرس.

- كل ما فيك.

- لِمَ لا تحددين إجابتك؟

تركت عقدة شعرها، وقالت: «حسناً! سأعطيك مثلاً. الثقة... أنا لا أثق بك».

شعرت بعينيه تضيقان وهو يسير باتجاهها، وقد ظهرت عضلات صدره من

خلال قميصه المفتوحة وسألها: «هل تخليت عنك يوماً؟ هل جعلتك تشعرين بالخيبة يوماً؟ عندما....».

- لم تخبرني الحقيقة بشأن كليف.

توقف ليون عن السير فجأة. وقف أمامها بصمت، طويلاً، ثابتاً لا يتحرك.

- ...أو الحقيقة عنك وعن تلك الأعمال البطولية التي تقوم بها أنت وأصدقاؤك. أو كيف تورطت أنت وكليف بالعمل مع فدريكو.

التزم ليون الصمت ولم يتفوه بأية كلمة.

وضعت صوفي يديها في جيبي بنطلونها، محاولة أن تسيطر على العواطف المجنونة التي تختلط في داخلها.

- أنت لم تخبرني أبداً عن الأشياء التي يجب أن أعرفها.

- وهذه الأشياء ستقرر ما تفكرين به، ما تشعرين به نحوي؟

جاء صوته قاطعاً، وجعلتها سخريته تتورد خجلاً وهو يتابع: «هل هذه طريقتك في حل مشاكلك العاطفية؟ تتعرفين على كل ما يحيط بكليف، وتقررين بشأن ليون؟».

- لا!

- عزيزتي، في حال أنك لم تلاحظي، أنا وكليف شخصان مختلفان.

- أعرف ذلك.

رمقها بنظرة قاسية، والانزعاج بارز في عينيه الزرقاوين وعاد يقول: «لا أعتقد أنك تعرفين».

انحنى، وأمسك بالرزمة عن الأرض وهو يتابع: «لنعد أدراجنا، فالعاصفة تقترب».

- أنت تتهرب مني في كل مرة لا يعجبك فيها ما أقوله.

- أنا لا أفعل ذلك. لكنني لن أقف هنا لأجادلك في حين أن العاصفة في طريقها إلينا.

لم يسيرا لمسافة طويلة حتى ظللتهما الغيوم السوداء، وانهمرت الأمطار

الدافئة كالشلال فوق رأسيهما. بدا من المستحيل عليهما أن يستمرا في تسلق المنحدر فيما الأمطار تنهمر عليهما. أمسك ليون بيدها وأجبرها على الانضمام إليه تحت شجرة كبيرة ليحتميا تحت ظلالها.

كانت الأمطار تتساقط كالحصى على أغصان النخيل وعلى النباتات الاستوائية العريضة الأوراق. حاولت صوفي أن تبقى ثابتة وبعيدة عنه. قالت وهي تكاد تختنق: «لم تكن لدي أية فكرة عن مقدار كرهك له».

لفت ذراعيها حول صدرها، محاولة أن تسيطر على إحساسها بالألم والصدمة، وعلى غضبها وحزنها.

لا يمكنها أن تتحمل فكرة تخلي ليون عن كليف، وكأنها تشعر بالذنب لأنها، هي نفسها، رغبت بالتخلي عن زواجهما. لكنها أحبت كليف فعلاً، وأرادت له الأفضل. كان هو وليون صديقين قبل أن تتعرف عليهما.

لفّ ليون ذراعه حولها وشدّها إليه، حتى أصبح بإمكانها أن تتكىء عليه، وقال: «أنا لا أكره كليف، فهو كان بمثابة أخ لي. وتأكدي أنني كنت لأفعل أي شيء لأجله».

- ومع ذلك تصبح غاضباً جداً عندما تتكلم عنه.

كانت ترتجف، لكن ليس بسبب البرد، بل بسبب العواطف المتضاربة التي تعصف في داخلها.

تنهد بقوة ومرر يده على ظهرها، ثم قال: «لا أريد أن أتهجم عليه، فهو ليس هنا ليدافع عن نفسه. لكن في الحقيقة، أشعر بالضيق لما انتهت الأمور إليه. أشعر بالضيق لأنه تركك بمفردك، ولأنه تركك مفلسة، ولأنه فعل ذلك بعد أن أخذك مني».

جمدت يده على ظهرها وهو يقول: «كان يعلم أنني سأتقدم لخطبتك. كنت قد اخترت الخاتم الذي سأقدمه لك، لكنني أردت معرفة رأي كليف. فهو يعرفك أيضاً ويعرف ذوقك. عندما رأى الخاتم وافقني أنه سيعجبك، فاشتريته».

توترت كل عضلة من عضلات جسمها، وقالت معترضة: «لكن، أنا

وأنت، لم نتواعد يوماً. لم يكن بيننا سوى ذلك العناق».

رفع كتفيه وقال: «لم أشأ أن أستعجل الأمور بيننا. كنت على وشك إنهاء دراستك الجامعية، وأردت أن أعطيك الوقت الكافي. رغبت في التودد إليك بأفضل طريقة ممكنة».

سمعت السخرية في صوته. كان يسخر من نفسه، يسخر من نواياه الشريفة. كان يريد أن يتودد إليها ويكسبها، بتصرفه كسيد نبيل. وبدلاً من ذلك ترك الباب مفتوحاً، ليدخل كليف منه.

أغمضت صوفي عينيها، وضغطت بوجهها على صدر ليون.

- لا تعلمين كم عانيت، صوفي، عندما سمعت أنه تقدم لخطبتك بينما كنت أنا خارج البلاد. لم أصدق أنه قد يفعل شيئاً كهذا بي. لم أستطع تصديق...

توقف عن الكلام، وراح يضغط بقوة على فمه قبل أن يقول: «احتجت إلى وقت طويل قبل أن أتمكن من مسامحته».

أمسكت قميصه بأصابعها، وحاولت جاهدة أن تقول بصوت عادي: «لم تكن لدي أية فكرة عن هذا الأمر».

أخرج من فمه صوتاً قاسياً يدل على نفاد الصبر، وقال معترفاً: «لم أكن أرغب أبداً في إخبارك بذلك».

لف شعرها الطويل على يده، وشدّه قليلاً، ثم تابع: «ما كان عليَّ قول أي شيء الآن. فأنا لا أجيد التعامل مع الخسارة».

- المسألة هنا ليست خسارتك. المسألة هي أنا وأنت، وقدرتنا على التحدث بصدق وبكل الأمور. إذا كنا صديقين فعلاً، وإذا أردنا أن نبني ثقة بيننا، عندها يجب أن تكون لنا القدرة على التحدث عن كل شيء بصدق وصراحة مطلقة.

لاحظت حرباء خضراء اللون تمر على الغصن بجرأة قرب كتف ليون، لكنها تابعت: «يجب أن نملك القدرة على التحدث عن كليف وعنا وعن الحياة كلها، وعن الحقيقة».

رفع ليون زاوية فمه بابتسامة جافة. ثم مدّ يده ولمس حاجبها، ممرّراً إصبعه فوق عظم الحاجب البني اللون.

أخذت صوفي نفساً عميقاً، ذلك أن لمسته أثرت بها. أرادت أن تتكىء عليه. أرادت المزيد... والمزيد... و المزيد.

- عن كليف، وعنا وعن الحياة.

كرّر القائمة التي ذكرتها مفكراً، ولمس برفق البشرة الناعمة تحت حاجبها وهو يتابع: «هناك الكثير من الحقائق حولنا».

- يمكننا تحمل الأمر، أليس كذلك؟

- هل نستطيع؟

أجابت صوفي بصوت خفيض: «يجب أن تكون لنا القدرة على تحمل ذلك».

أصبحت عيناه الزرقاوان أكثر دفئاً، فهز رأسه قليلاً وهو ينظر إليها قائلاً: «أنت جميلة بشكل لا يصدق».

لم تستطيع الكلام. كان بإمكانها فقط أن تحدق بوجهه وفي عينيها شوق كبير إليه. هذا ما شعرت به في أول لقاء بينهما، في تلك اللحظة في اجتماع لانجلي آلمزهرت. كليف وبطريقته المعهودة بالسيطرة على الغير دفعهما معاً ليرقصا رقصة هادئة، وشعرت صوفي بالخوف.

لم ترقص مرة مع شخص مثل آلونسو هانتسمان من قبل. فهو لا يبدو كمراهق أبداً، بل كرجل ناضج كبير. في تلك الليلة، وبينما كانت ذراعاه تحيطان بخصرها، ويداه مستريحتان على ظهرها الصغير، شعرت بكل حركة في جسمه حولها. بدا مليئاً بالدفء وهو يمسك بها بثقة كبيرة، وفي قاعة الرياضة التابعة للمدرسة المزينة بالأوراق الزرقاء والصفراء وعناقيد البالونات الزرقاء اللون، شعرت بأنها صغيرة جداً، وناعمة جداً، ورقيقة جداً... لكن ذلك لم يمنعها من أن تحلم به.

هكذا مرت الأمور بينهما دائما: مجرد حلم! شيء بعيد جداً وخيالي، ولا يمت إلى الواقع بصلة.

أدركت صوفي أن العاصفة قد مرت. فمع أن المطر ما زال يتساقط على الأشجار، لكن الشمس ظهرت وبدأ البخار يتصاعد من الغابة. عادت الطيور

تزقزق، ويعلو صوتها فوق صوت المياه. وانتشرت رائحة التراب الرطب في أرجاء المكان.

ضج صوت ليون في رأسها: «توقف المطر، من الأفضل أن نعود».

فشعرت برجفة تسري في أوصالها.

أوشك الظلام أن يحل عندما وصلا إلى المكان الذي كانا يخيمان فيه. ومن خلال الغسق، لمحت صوفي قارباً في النهر، ورجلين يجلسان قرب المكان الذي ارتاحا فيه. كانت الأغصان التي استعملاها قد تكسرت، وتبعثرت سعف النخيل. أصابتها الدهشة لما حل بالمكان، فتحركت لتقف قرب ليون.

وقف الرجلان ما إن اقتربت هي وليون. كانا يرتديان ثياباً عادية، أحدهما يرتدي بنطلوناً قصيراً وقميصاً قطنية ويعتمر قبعة حمراء، أما الآخر فيرتدي بنطلوناً قصيراً وقميصاً صفراء فوقها سترة من الجلد. حيا ليون الرجل الذي يعتمر القبعة: «فيلي! وصلت باكراً».

قال فيليب بهدوء: «نحتاج لإبعادك، فالأمور أصبحت أكثر خطورة».

لم يسأل ليون عن أي شيء. وبدلاً من ذلك رمى بالحزمة إلى الرجل الآخر وحمل صوفي بين ذراعيه، ثم سار إلى النهر ووضعها في مؤخرة القارب. قال لها وهو يصعد ليجلس قربها: «ارتدي سترة النجاة».

فعلت ما طلبه منها، وجلست على أحد المقاعد في وسط القارب، وجلس ليون بقربها. وفي الواقع، تمدد في مقعده بارتياح، فبدا جسمه الكبير مسترخياً، لكن عيناه كانتا تشعان بالترقب والإثارة.

الرجل الثاني، الذي كان يرتدي سترة من الجلد، جلس في مكان بعيد عن فيليب. لم يَدُرْ أي حديث، بين الرجلين، لكنهما ظلا يقظين وحذرين، يركزان انتباههما على كل شيء. لا بد أن هناك شيئاً ما، هذا ما فكرت به، فشدة انتباههم جعلت جسمها ينكمش.

ما الذي يجري؟ هل علم فدريكو أين هما؟ هل حدث أمر آخر؟ ساروا ببطء عبر النهر، بعيداً عن الشلالات. كان الليل قد أرخى سدوله ولولا وجود ضوء القمر، لاضطروا إلى السير في الظلام. كان النهر عريضاً وصامتاً، والإشارة

الوحيدة لوجود مجتمعات في ذلك المكان، كانت من خلال الأضواء المنتشرة عبر الضفاف الداكنة، والتي تنبعث من المنازل الغريبة الشكل والمصممة خصيصاً لقضاء العطلات.

لم تعد صوفي قادرة على تحمل الحيرة والقلق لفترة أطول. انحنت نحو ليون، وسألته بصوت خفيض: «ماالذي قصده بقوله: الأمور أصبحت أكثر خطورة؟ ولا تحاول أن تتهرب من الإجابة، فنحن الآن نتعامل مع الحقيقة فقط».

الحقيقة فقط... فكر ليون، وهو ينظر إلى وجهها الشاحب. لا شك أنها تشعر بالرعب، لكنها تريد الحقيقة.

- وصل ميغال فالديز، رئيس فدريكو.

- فدريكو لديه رئيس؟

لو لم يكونوا في وضع خطر جداً، لضحك كثيراً من سذاجتها!

- لا يستطيع فدريكو الذهاب لشراء الحليب من دون أن يسمح له ميغال فالديز.

فجأة، أشار فيليب لهما كي يصمتا. كانوا يقتربون من جسر ضخم من الفولاذ. مروا تحت قوس الجسر، ولمع دفق من أضواء السيارات كشعاع مصابيح النيون البيضاء فوقهم. وبعد أن أصبح الجسر وراءهم عادوا إلى الظلمة ثانية.

بعد مرور عدة دقائق قاد فيليب القارب السريع إلى رصيف جانبي. ومن خلال الأشجار الكثيفة التي تحيط بالرصيف لمع ضوء مرة ثم مرتين.

قال فيليب، وهو يطفىء المحرك: «نحن بأمان».

قفز ليون من القارب وساعد صوفي لتخرج منه. صمتُ الرجال وهدوء الغابة أثار قلقها أكثر من ذي قبل. مدّت يدها لتمسك بيد ليون، وراحت تضغط عليها بقوة، فيما راحا يسيران صعوداً على الدرج الحجري الذي يقود إلى بيت كبير. همست وهي تمر عبر بوابة من الحديد: «أين نحن؟».

- في منزل آمن.

رمته بنظرة سريعة وقالت: «إذن سأحصل على غرفة خاصة بي، مع قفل على

بابها؟».

ابتسم بتردد وقال: «هذا المنزل ليس آمناً إلى هذه الدرجة. هناك من يحميك هنا، لكنك لست بأمان مني».

بدا المنزل كبيراً، ذو سقف عالٍ مع عوارض خشبية، وأرضية لامعة من الخشب الأصفر، السميك، وقد فرش بسجاد هندي وزع في كافة أرجائه.

حصلت صوفي على غرفة خاصة بها، مجاورة لغرفة ليون. وكانت الغرفتان متصلتين عبر باب مشترك. نظرت إليه وقالت: «وهل لهذا الباب قفل أيضاً؟».

- لا!

والتقت نظراته الدافئة بنظراتها. استمر ليون في النظر إليها وهو يقول: «هل لديك مشكلة بهذا الشأن؟».

هزت رأسها بالنفي.

- جيد، العشاء جاهز، هيا لنذهب ونأكل.

كان العشاء الأرجنتيني مكوّناً من اللحم المشوي، والبطاطا المقلية. بدت رائحة الطعام شهية جداً، لكن صوفي وجدت صعوبة في تناوله بسبب نظرات ليون الحارة الكسولة، التي راحت تتبعها في كل قضمة تتناولها. كان يراقبها وكأنها أكثر شيء مذهل قد رآه في حياته.

نظر إليها بقوة حتى شعرت كأنه يلمسها. إنه يريدها! إنه يحبها كما لم يحبها أحد من قبل. بدا ذلك واضحاً في نظراته المحدقة بها، كل ما يريده ليون، وكل ما سيعطيه، هو السعادة. السعادة اللامتناهية. لكن عليها أن تثق به. عليها أن تكون له، وتصبح زوجته.

لم تعد صوفي تحتمل المزيد من نظراته المتلهفة، فوقفت بسرعة وقالت: «حسناً! عمت مساءً ليون».

رأت لمعاناً بارداً في عينيه وهو يجيبها: «عمت مساءً، صوفي».

وشعرت بابتسامة النصر تتبعها طوال الطريق عبر القاعة، وهي تتجه نحو غرفتها.

١٠ - حلم يتحقق

لم تكن هناك أحلام أكثر إثارة من الأحلام التي راودت صوفي تلك الليلة. كانت تستيقظ تقريباً كل نصف ساعة، وهي تشعر أنها مليئة بالشوق واليأس معاً، لتنظر إلى الساعة وتصلي كي ينبلج الصباح لتتخلص من تلك الأحلام المزعجة.

وفي كل مرة تغمض فيها عينيها، كانت الأحلام تعاودها. بالطبع، كان ليون بطل أحلامها تلك، وبدا مقنعاً جداً ورائعاً جداً...

شعرت بعناقه لها طوال الليل، وبنظراته الحارة تتبعها كيفما تحركت. شعرت كأنه بقربها، لكنه يتملص منها كلما أرادت أن تلمسه.

عند الصباح، استيقظت صوفي ويداها تمسكان بالأغطية البيضاء، وجسمها رطب يبلله العرق. شعرت بالإرهاق والتعب، وكان جسمها يرتجف. لقد دمرها ليون من دون أن يعلم. يا له من رجل خارق! انقلبت لتنام على بطنها، ودفنت وجهها في الوسادة. أدركت أن الأمر بينهما لا يقتصر على الانجذاب الحسي فقط. في الماضي، تزوجت من كليف لتتأكد أن ليون لن يستطيع الوصول إلى قلبها. فليون يمثل لها العواطف المدمرة، وكليف يمثل الأمان والثبات.

ألم يكن ما حدث مجرد مهزلة كبرى؟ لم يؤمن لها كليف الاستقرار ولم يحمل لها أي سلام. وكما تبين في ما بعد، ليون فقط هو صخرة النجاة! ليون هو ملجأها الوحيد، تماماً كما كان دائماً.

شعرت صوفي بالدموع تحرق عينيها، فعضت على شفتها. سحبت الوسادة إلى الأعلى، ووضعتها حول أذنيها وكأنها ستتمكن من إخفاء نفسها إلى الأبد.

ما قامت به في الماضي ربط حياتهم ببعضها البعض. لم تكن نعامة صغيرة جبانة فحسب، بل نعامة جبانة ومغفلة أيضاً. اتخذت قراراً سبب الأذى لهم جميعاً، لها، لكليف، ولليون. وها هو ليون هنا، يعطيها فرصة ثانية، وهي مع ذلك ما زالت مترددة!

جلست ووضعت الوسادة في حضنها، وضغطت بها على معدتها. إنها تحب ليون... لم يمر وقت لم تكن فيه تحب ليون... ومع أنه كان يخيفها بقوة مشاعره، لكنه تعلم كيف يسيطر على عاطفته في السنوات العشر الماضية. مع أنه ما زال عاطفياً، لكنه أصبح أكثر مرحاً الآن، وهو يلقي النكات. كما أصبح أكثر صبراً وأقل مشاكسة. وهو يريدها...

يريد حياة كاملة معها، وهي تريد كل ما يرغب في مشاركتها به، قلبه، فكره، جسمه، وحياته. تريد أن تشاركه حياته أيضاً. وهي تعلم أنها ستعيش حياة سعيدة معه، إنها تتخيل نفسها متزوجة منه، تتصور نفسها وهي تستيقظ كل صباح معه، تتناول الفطور معه، تمزح معه... ستكون حياتهما كأيام العطلة التي أمضوها في بونافنتورا بل أفضل، لأنهما أصبحا أكبر وأكثر حكمة. ولا شك أنهما أصبحا أيضاً أكثر تواضعاً بسبب مواجهتهما للحياة والواقع.

لكن هنالك عقبات.. هنالك أشياء لا يعرفها ليون بشأنها. قد تكون مبذرة، فمحلات هارودز كانت دائماً جنتها في الحياة. وقد تكون متهورة، فقبولها الزواج من كليف كان ردة فعل للهروب، عندما سمعت أن ليون غادر البلاد للمرة الثانية خلال ثلاثة أشهر. وقد تكون مدمرة، كانت لتُطلق كليف لو لم يمت. فلم يكن هناك أمل بأن تبقى زوجته حتى آخر حياتها. كان زواجهما فارغاً، وكانت تشعر بالوحدة القاتلة، وبأن حياتهما خالية من الحب.

حسناً! هذا ما هي عليه. فهي ليست امرأة مثالية كما يظن. ستخبر ليون بالحقيقة، ليراها كما هي بالتحديد. وإن كان يستطيع تحمل ذلك، عندها... نعم، يستطيع العيش معها، ويتزوج بها، ويحبها، تماماً كما تحبه.

ارتدت صوفي العباءة الموضوعة إلى جانب السرير، وسارت لتتحدث معه. سمعت صوت الماء ينهمر في غرفة الحمام فشدت العباءة إليها، وهي تفكر أن

عليها العودة مرة ثانية. وما هي إلا لحظة، حتى توقفت المياه عن الانهمار فجمدت مكانها.

قالت لنفسها: فقط قومي بما عليك القيام به، اطرقي الباب. وهذا ما فعلته. فتح ليون الباب، وخرج من الحمام، وقد لف منشفة بيضاء حول جسمه. قال: «صباح الخير».

ثم أمسك منشفة ثانية وراح يجفف شعره. راقبت صوفي عضلات جسمه القوية، وقالت: «صباح سعيد».

وضع ليون المنشفة التي جفف بها شعره على كتفه. بدت عينا صوفي كبيرتين ومليئتين بالحزن. وكأنها على وشك البكاء.

قالت: «أريد التحدث معك».

قال وهو يشير إلى مقعد قريب: «اجلسي».

جلست صوفي على المقعد، وراحت تفرك راحتي يديها ببعضهما البعض.

فتحت فمها ثم اغلقته، وما لبثت أن ابتلعت ريقها وحاولت ثانية. بدأ فمها يقول وقد امتلأت عيناها بالدموع: «إنني نعامة...».

أهذه هي المسألة المهمة التي أتت لتناقشها معه؟ كل ما استطاع ليون القيام به هو أن لا يبتسم.

- هربت منك... أو بالتحديد أكثر، هربت من نفسي... ليس لأنني لا أهتم بك، بل لأنني أهتم كثيراً...

ارتجفت شفتها العليا فحاولت جاهدة أن تسيطر على نفسها وهي تتابع: «أحببتك منذ.. منذ أول رقصة لنا معاً، لكن حبك كان كحب رجل نصفه إله يوناني».

- فقط نصف إله؟

تجاهلت مزاحه وتابعت: «ظننت أنك لست بشرياً مثلنا، على الأقل، لم تكن تبدو كالآخرين».

- هل بدوت سوبرمان؟

- نوعاً ما... لم أشعر أبداً أنني أنتمي إليك. ولم أستطع أن أتخيل الحياة

معك.

نظرت إلى حافة عباءتها وتابعت: «ربما.. لم أحاول حتى أن أتخيل تلك الحياة».

شعر بلهفة فائقة في داخله نحوها، وقال: «أتظنين أن هذا الكلام يفاجئني؟».

بلعت صوفي ريقها وضغطت بيديها بقوة في جيبي عباءتها.

- أقنعت نفسي بأنني سأكون سعيدة بدونك. وفكرت أنني بعد زواجي من كليف سأنساك.

شعرت بعينيها تحرقانها من الدموع، فاستمرت بالنظر إلى قماش العباءة وهي تتابع: «لكنني لم أستطع نسيانك. لم أستطع التوقف عن التفكير بك. ولم أستطع التوقف عن كره نفسي لأنني لم أقم بالعمل الصحيح عندما كان عليّ القيام بذلك».

سار نحوها، فقفزت مبتعدة. سارت نحو النافذة وهي تقول: «لا! دعني أنهي كلامي».

شعر بالنيران تضطرم في صدره. إنها تعاقب نفسها. ربما أرادها في السابق أن تشعر بالعذاب بسبب الألم الذي سببته له، لكن ذلك كان منذ وقت بعيد، ولم يعد ذلك جزءاً مما هو عليه الآن أو مما يريده.

- ليس عليك أن تضعي نفسك في هذا الموقف. أعلم أنك ندمت، صوفي. وأعلم أنك كنت غير سعيدة في كثير من الأوقات. لكنني كنت معجباً بك لمحاولتك إنجاح زواجك. كنت أحترم حقيقة أنك لم تستسلمي وأنك لم تتخلي عن...

- لكنني فعلت.

رفعت وجهها لتنظر إليه. بدت كالمصدومة، وبدا وجهها شاحباً كوجوه الأموات، وقالت: «هذا هو الأمر المريع! أردت الخروج، أردت التخلص من زواجي لدرجة أنني لم أستطع تحمله».

وعلى الرغم من جهودها، ظلت دموعها تنهمر من عينيها وهي تتابع قائلة:

«طلبت الطلاق منه، ليون».

وقف في مكانه جامداً وقال: «فعلت... ماذا؟».

- طلبت الطلاق من كليف في اليوم السابق لوفاته.

ثم تابعت وقد بدأت ترتجف: «لم يعلم أحد بذلك... إلا كليف».

حدق ليون بها للحظات بدت كأنها الأبد. بدا لهما أن الوقت توقف أو تبدل، وأصبح له زمن خاص به.

تابعت: «تحدثنا في الليلة السابقة لموته. كان في ساوباولو، واتصل بي من الفندق. بدا منزعجاً، لكنه لم يخبرني لماذا. كنت قد سئمت منه لأنه لا يتكلم معي، سئمت من مزاجه المتقلب ومن أسراره الكثيرة».

توقفت عن الكلام، وضغطت بيدها على جبهتها، محاولة أن تهدىء نفسها.

- قلت له من دون أي تفكير: «كليف، إني مرهقة، لا أستطيع الاستمرار بالعيش هكذا».

ابتعد ليون عنها، وسار قاطعاً الغرفة كلها، ثم حدق بالحائط الفارغ، قبل أن يسألها: «وما الذي قاله لك؟».

بكت صوفي بقوة أكثر: «قال: حسناً! عزيزتي. أي شيء تريدينه وأي شيء تحتاجينه، سيكون كما تريدين».

ضم ليون يده بقبضة حديدية، وضرب بها الحائط.. ثم ضرب الحائط مرة ثانية.

سمع صوفي تنتحب وراءه. تباً! تباً! تباً حتى الجحيم! لقد بدأت الخيوط تتجمع مع بعضها. بدأت الأمور تتضح بصورة منطقية، ويبدو أنها كانت أسوأ بكثير مما تخيل.

هذا ما رآه كليف أمام عينيه، أليس كذلك؟ لم تكن هناك نهاية لمشاكله أو نهاية سعيدة لحياته، بل ظلام مفاجىء.

استمرت صوفي بالبكاء، وقالت: «أرجوك سامحني، ليون. سامحني. هو لا يستطيع مسامحتي، لذلك عليك أنت أن تسامحني».

أخيراً، اخترق صوتها المنهار الضباب الذي يلف دماغه. سمع أسنانها

تصطك فاستدار. كانت تنهار أمام عينيه وهي جاثمة قرب النافذة.

حدق فيها للحظات لا نهاية لها، وقد انتقل في الزمان إلى تلك العطلة المدرسية الرائعة التي أمضوها معاً في بونافتورا.

عمل والد كليف على توفير تلك العطلة لهم. وبطريقة ما، أقنع والدة ليون ووالد صوفي أن بإمكان المراهقين الثلاثة تمضية العطلة معاً مؤكداً للجميع أنهم سيكونون محاطين بالعديد من الأشخاص لحمايتهم والاعتناء بهم.

لكن بالطبع، ما إن وصلوا إلى المنزل الصيفي الفخم لعائلة ويلكنز، على الشاطىء في بونافتورا، لم يظهر أحد أي اهتمام أو انتباه لهم. ولمدة أسبوعين قام كليف وليون وصوفي بكل ما يسعدهم. كانوا يسهرون حتى منتصف الليل، وينامون حتى الظهر، ويمضون ما تبقى من النهار على الشاطىء. كانوا سعداء معاً بشكل لا يوصف، علاقتهم بسيطة، قوية، وصادقة.

لكن الأسبوعين مرّا بسرعة، ووُضعت أمتعتهم في الحقائب. وضع سائق عائلة ويلكنز حقيبة صوفي الصغيرة في مؤخرة سيارة الليموزين ورمى إيرل ويلكنز حقائب كليف وليون في صندوق سيارته. وجاء الوقت ليودعوا بعضهم.

بدا كليف كعادته، مرحاً متفائلاً كالمهرج، لكن صوفي، صوفي الجميلة بشعرها الأسود الطويل، وحاجبيها المقوسين هزت رأسها وقالت: «لا أستطيع العودة».

ملأت الدموع عينيها وهي تتابع: «لا تعدني إلى هناك ثانية. من فضلك، لا أريد العودة».

نظر الإيرل إلى الصبيين بحيرة، ولم يعرف تماماً ما الذي سيفعله. عندها أخذت الكونتيسة ويلكنز زمام الأمور.

صرخت لويزا: «عليك أن تخجلي من نفسك».

وبضيق نزلت الدرج الحجري الطويل الزهري اللون، وتابعت تقول: «أصبحت في السابعة عشرة، صوفي جونسون، وعما قريب ستصبحين راشدة. اصعدي إلى السيارة، وتوقفي عن هذه التصرفات السخيفة الآن».

صعدت صوفي إلى المقعد الخلفي في السيارة، لكن ليون لم ينسَ أبداً تعابير وجهها؛ بدت وحيدة تماماً، لا رفيق لها. ومن المؤكد أنها بقيت كذلك طوال عمرها.

قال بقسوة، وصوته الخشن يتردد في الغرفة الكبيرة: «ما من شيء يجب أن أسامحك عليه. نحن ما نحن عليه. وهذا ما كنا عليه دائماً».

حدقت صوفي به: «ما الذي تعنيه بكلامك هذا؟».

اعترف ليون بإيجاز: «أعرف أن كليف كان عاجزاً عن إقامة علاقة زوجية سوية».

وسار نحوها وعيناه مثبتتان على وجهها المنتفخ وخديها الرطبتين من جراء الدموع.

- ماذا؟

اضطربت أحشاء ليون بعنف. شعر كأن ناراً تحرقه من الداخل. إنه لا يريد أن يسبب الأذى لها، ولا يريد أن يسبب الأذى لكليف. لا يريد أن يجرح أياً من تلك الذكريات الجميلة التي بقيت لهما، لكن صوفي تعيش في جحيم خاص بها بسبب الإحساس بالحزن والذنب. وبالطبع ليس هذا ما يريده كليف لها.

- كان يحبك، صوفي.

تردّد قليلاً وهو يتساءل إلى أي حد يمكنه الإفصاح عما يعرفه؟ وماذا بإمكانه أن يقول؟

- كان يحتاج إليك كغطاء له. لقد أعطيته ما كان يعتقد أنه مهم له.

راحت صوفي تهز رأسها، غير قادرة على تصديق ما تسمعه، لا تستطيع تقبل ذلك. بلع ليون ريقه، وهو يفكر بعقدة النقص التي كانت تتحكم بشخصية كليف والتي جعلته يظن أنه يحتاج دوماً إلى ليون ليبقى قربه.

لقد اعترف له بعجزه عن القيام بما يتوجب عليه كزوج تجاه زوجته. في تلك الليلة وعد ليون أن يحمي ذكرى كليف أمام عائلته، وأن يحمي صوفي أيضاً. مات كليف ميتة بائسة. وعلى الرغم من أخطائه ومواطن ضعفه، كان يستحق الحب.

شعر ليون، وهو يقف أمام صوفي الآن، أن الماضي والمستقبل يطيران باتجاه بعضهما وكأنهما صاروخان في عملية تصادم.

- حين كنت غاضباً من كليف، شعرت أنه هجرك، واعتقدت أنه مات ولم يترك لك شيئاً. لكنني الآن أرى أن تلك ليست الحقيقة.

انخفض صوته وتابع بلطف: «لم يتركك بدون أي شيء. تركك معي».

رفعت صوفي رأسها ونظرت إلى عينيه، شعرت بقلبها ينزف، وبأفكارها تتشتت وتدور مرتبكة بشكل لا يوصف. همست: «كان عليه أن يخبرني قبل أن نتزوج. كان عليه أن يتحدث معي. لكنت، على الأقل، تفهمته».

- ما كان يستطيع ذلك. كان فخوراً بنفسه كفرد من عائلة ويلكنز. ومنذ أن تعهد أن يصبح زوجاً ورب أسرة، ما كان ليستطيع تحمل خيبة أملك، أو خيبة أمل والديه.

نظرت إلى عيني ليون. لم يكن هناك أي هدوء فيهما، ولا سلام على الاطلاق. بدلاً من ذلك كان يحترق في داخله، يحترق من الألم والغضب اللذين لا علاقة لهما مطلقاً بحديثهما ولا بأي شيء مما عاشوه جميعاً في السابق، ولا بطريقة موت كليف.

أغمضت عينيها... بالطبع ذاك ما حدث. ضغطت براحة يدها على جبهتها. بالطبع، تلك هي الحقيقة.

هزت رأسها، وفتحت عينيها. كليف زوجها، كليف صديقهما... عاش أكثر أنواع الحياة عذاباً.

- منذ متى وأنت تعرف أنه كذلك؟

ضاقت ملامح وجهه، واكتست قناعاً من الألم.

- ليلة وفاته.

بدون أية كلمة، تركت صوفي غرفة ليون وعادت إلى غرفة نومها. بحثت في الخزانة عن أي شيء ترتديه، فوجدت تنورة طويلة من الكتان وقميصاً قطنية، فارتدتهما وتوجهت إلى الخارج، إلى السطح الواسع المطل على النهر.

فتح باب السطح الزجاجي المنزلق، ثم أغلق، وظهر آلونسو إلى جانبها.

- ليس من المفترض أن تكوني هنا في الخارج. هذا خطر عليك.

نظرت إليه، وبسرعة أبعدت نظرها قائلة: «أنت من يريدونه، وليس أنا».

بقي صامتاً لفترة، ينظر إليها متأملاً، ثم سألها: «هل أنت بخير؟».

- لا!

- هل تريدين التحدث بالأمر؟

- لا!

وكان ما قالته صحيحاً. لم تكن قادرة على التكلم الآن. أتت إلى البرازيل لتكتشف الحقيقة بشأن عالم كليف لكن لم تكن تلك الحقيقة التي اكتشفتها.

- أحتاج إلى بعض الوقت.

- لا بأس! لكن ادخلي إلى المنزل. لا أستطيع أن أتركك هنا.

بقيت بمفردها لما تبقى من النهار، متكورة على نفسها في سريرها تقرأ كتاباً أعطاها إياه فيليب. كان الكتاب عبارة عن مسرحية كتبها كاتب أميركي مشهور في عالم الروايات البوليسية. حاولت صوفي أن تقرأ لكن الدموع ظلت تملأ عينيها باستمرار.

لا عجب أنهم كانوا جميعاً تعساء. كان هناك خلل واضح في علاقتهم مع بعضهم. كان الثلاثة منبوذين وغير منسجمين في مجتمعهم في بوغوتا، وقد شكلوا صداقة قوية خلال فترة المراهقة. وبطريقة ما، تمكنوا من الحفاظ على صداقتهم خلال مرحلة البلوغ، على الرغم من كل شيء، على الرغم من كل ما حدث، وعلى الرغم من الخلل والأخطاء في حياتهم، وعلى الرغم من الأشياء الصعبة التي واجهتهم.

رمشت صوفي بعينيها، ومسحت دمعة انهمرت على خدها. مسكين كليف! أخذت تفكر فيه وهو يعاني بمفرده حاملاً ذلك الحمل الثقيل، وشعرت بقلبها ينسحق لأجله.

لقد أحبته. ما كانت لتتزوج منه لو لم تكن تهتم بسعادته، لكن حبها لم يكن رومانسياً، تماماً كما كانت عاطفته نحوها خالية من الرومانسية.

يا لهما من أحمقين! لا عجب أنها وكليف تعثرا بالزواج معاً. كان هو أيضاً كالنعامة.

لقد آمنت بابتسامة كليف وبمنزل وبلكنز الجميل على الشاطىء وبسيارة بنتلي وبالطبع... بالإيرل نفسه، فقد كان رجلاً نزيهاً ولطيفاً لكنها لم تؤمن كفاية بليون. لم تؤمن أنه يستطيع أن يؤمن لها الثبات والأمان اللذين تبحث عنهما. أية فتاة حمقاء كانت!

فجأة لمست يد يدها، فمدت يدها الأخرى لتلك اليد، عالمة أنها يد ليون. علمت أنه سيأتي إليها، وأنه سيكون دائماً بجانبها. أمسكت يده بقوة، خشية أن يرحل. ضغط بأصابعه على يدها، وقال بصوت هادىء: «كان يوماً صعباً جداً».

شعرت بالغصة تملأ حلقها، وبدت عيناها متورمتين من كثرة البكاء، ومن كثرة الدموع الحارة التي تساقطت منهما.

تابع ليون يقول: «ليته كان هنا الليلة! لو حدث ذلك، لجلسنا معاً لنلعب بالورق، ولنقول الأشياء التي كان يجب أن نقولها وهو حي. كنا لنقول له الأشياء التي هو بحاجة إلى سماعها».

- ماذا تعني؟

جلس ليون قربها على السرير وظل ممسكاً بيدها، وقال: «إننا سنحبه دائماً، كيفما كان، وإننا سنكون دائماً أصدقاء له، ولا يهمنا ما يكون عليه».

نظرت صوفي إلى أيديهما، وكيف أن أصابعهما قد التفت على بعضها وقالت: «ابقَ معي هذه الليلة. لا عناق ولا شيء آخر، فقط كن بجانبي! يمكنك أن تنام على السرير الآخر».

- يسعدني ذلك.

نامت صوفي بهدوء تلك الليلة واستيقظت عدة مرات في الليل، وفي كل مرة كانت تنظر إلى السرير الآخر لتتأكد أن ليون لا يزال بقربها. وهكذا كان. شكراً لله على وجود آلونسو! ما الذي كانت ستفعله بدونه. ليس فقط في هذا الأسبوع، بل دائماً.

استيقظت في صباح اليوم التالي لتجد أن نظرات ليون تحدق بها، قالت: «مرحباً».

- هل نمت جيداً؟

- نعم، لكنني شاهدت أحلاماً مجنونة.

- بِمَ حلمت؟

- بنا جميعاً، كليف، أنت وأنا.

استدارت لتنظر إليه: «البارحة كان يوماً خيالياً. كل ما تذكرناه... كل ما مررنا به معاً... لو لم نكن أصدقاء حقيقيين ما كنا لنتحمل ذلك كله. أليس كذلك؟».

- لا

لامس بأصابعه أعلى رأسها وتابع: «لكننا صديقين فعلاً، وكليف كان صديقنا أيضاً».

تنهدت وقالت: «إذن هذا ما قصدته الأسبوع الماضي عندما قلت إن كليف كان معقداً جداً».

أغمضت عينيها لتفكر بذلك ثانية وقالت: «ولويزا، لا داعي لأن نخبرها، أليس كذلك؟».

- لا!

تردد قليلاً قبل أن يتابع: «عانت المسكينة بما فيه الكفاية، وقد لا تفهم الأمر».

تصورت صوفي لويزا بمفردها في منزلها في مالروز كورت. المنزل القديم الضخم المبني على طراز العصر الجورجي. لا بد أنها تشعر بالوحدة الآن هناك، لا سيما أن عيد الميلاد بات قريباً.

- عليَّ أن أتصل بها، فأنا أشعر بالسوء لأنني تركتها قبل فترة الأعياد.

شعرت بالغصة تملأ حلقها، فتابعت تقول: «أشعر بالسوء لأنها في هذه الفترة وحيدة جداً... لا عائلة، لا أحفاد، فقط هي ومنزلها ولقبها».

أمسك ليون بخصلة طويلة من شعر صوفي ودسها وراء أذنها.

- اتصلي بها عندما نصل إلى الأرجنتين، وادعيها لقضاء رأس السنة هناك. يمكنني أن أرسل لها طائرتي الخاصة.

- هل سنبقى في الأرجنتين؟

- لفترة ما.

نظر إلى وجهها ملياً، وتابع: «فكرت أنك بحاجة لبعض الراحة ولأشعة الشمس. لدي منزل هناك في ماردل بلاتا، على الشاطىء، إذا كان ذلك يناسبك. أظن أنه يمكننا الذهاب إلى هناك في شهر العسل».

جلست ونظرت إليه.

تابع ليون بإصرار: «أم أن هناك مكاناً آخر تفضلين الذهاب إليه لقضاء شهر العسل؟».

كبرت الغصة في حلقها وعلقت قائلة: «لقد قلت كلمة شهر العسل مرتين حتى الآن».

- أنت تسمعينني إذن.

حاولت جاهدة أن تفكر بأي شيء لتقوله له. إنه يطلب يدها، أليس كذلك؟

- لم أكن زوجة ناجحة. فلِمَ تريد الزواج بي؟

أصدر صوتاً قاسياً من حنجرته، واقترب منها يعانقها ويقول: «أنا أحبك».

حدّقت في بريق عينيه وسألته: «هذا كل ما في الأمر؟».

عانقها ثانية، وقال: «هل يجب أن يكون هناك المزيد؟».

أصبحت الغصة في حلقها أكبر، حتى بات من الصعب عليها أن تبتلع ريقها.

- لا، الحب هو السبب الصحيح بالتحديد.

قال ليون بنعومة: «جواب جيد».

ودس خصلة أخرى من شعرها تحت الأذن الأخرى.

- إذن، تزوجي بي اليوم.

- اليوم؟ كيف؟ وأين؟

www.elromancia.com

ابتسم وهو يقول: «هنا. لدي كاهن يشعر بالملل ويرغب بيأس كبير أن يعود إلى بلاده».

- لديك كاهن هنا، الآن؟

لا بد أن آلونسو قد أخذ عهد الكشاف بجدية ليبقى مستعداً لكل شيء وبأقصى حد.

- عندما أحضر فيليب والشباب المؤن بالطائرة إلى هنا منذ يومين، طلبت منهم أن يحضروا معهم كاهناً. لم يمانع الكاهن بالمجيء لمدة يوم أو أكثر بعد أن عرضت عليه بناء قاعة جديدة في الكنيسة. لكن، تصادف غداً ليلة الميلاد وهو قلق للعودة إلى بوساداس من أجل القيام باحتفالات الميلاد.

شعرت صوفي وكأنها تدور في الأفعوانية في مدينة الملاهي.

- نحن سنتزوج اليوم؟

- اليوم، الليلة.

فجأة، ابتسم ليون كأنه طفل في صبيحة الميلاد، وقد حظي بأجمل دراجة حمراء كان دائماً يحلم بها. وتابع: «بهذه الطريقة يتمكن الأب بيريز من العودة إلى بلاده».

حدّقت به وهي تفكر أنه أكثر الرجال ثقة وتفاؤلاً ممن قابلتهم في حياتها، وقد بدأت بالفعل تحب ذلك.

- وهل أحضر لي الكاهن معه ثوباً لأرتديه؟

- ليس لدى الأب بيريز خبرة بثياب النساء. على أي حال، طلبت منهم أن يحضروا معهم ثوباً لائقاً إلى الطائرة مع الكاهن.

فكر ليون بكل شيء، أليس كذلك؟

تناولا الفطور بعد فترة قصيرة في غرفة الطعام. بعدئذٍ، التقى ليون مع فيليب وطورك فحاولت صوفي أن تنهي الكتاب الذي قدمه لها فيليب، لكن تركيزها وانتباهها كانا مشتتين، ووجدت نفسها تهز برأسها متسائلة.

ستتزوج... اليوم... من ليون... إنه أمر لا يصدق!

في وقت متأخر من بعد الظهر استغرقت صوفي فترة طويلة في الاستحمام.

بقيت في حوض الاستحمام محاولة أن ترتاح في المياه المعطرة بالزنجبيل، لكن قلبها ظل يضرب بجنون. وبعد أن نهضت من حوض الاستحمام راحت تنظر إلى نفسها في المرآة.

نعم، هذا هو وجهها. وذلك هو شعرها وقد عقدته في أعلى رأسها. وهذا هو ذقنها وقد غطته فقاقيع الصابون. وتلك هي عيناها...

ستتزوج من ليون بعد مرور ساعة من الآن. جففت جسمها، وفركت بشرتها الرطبة بمستحضر له رائحة الزنجبيل. ارتدت الثوب الأبيض الذي اشتراه لها آلونسو، وهو ثوب من الدانتيل الرقيق.

حاولت ألاّ تفكر بما سيحدث بعد ذلك، وألاّ تفكر بما قد يحدث بعد ساعتين من الآن... بعد ثلاث ساعات من الآن.. بعد أربع ساعات من الآن... بعد سبع ساعات من الآن...

نظرت إلى صورتها في المرآة، ورأت عواطفها المضطربة واضحة على وجهها. رأت أيضاً الأمل والحماس والتوهج.

كان الكاهن رجلاً عجوزاً، نحيل الجسم ولطيفاً جداً. ويشبه رجال الدين الأوائل الذين أتوا إلى البرازيل والأرجنتين من إسبانيا والبرتغال منذ مئتي سنة. سلّم على ليون وصوفي، وعانقهما عناقاً أبوياً. ثم جلسوا معاً، هم الثلاثة، وأخذ الكاهن يعد مراسم الزواج قبل أن يفسر غاية الزواج بحد ذاته.

عندما انتهى من عرض أفكاره بشأن الزواج، سألهما إن كان لديهما أي سؤال. فهز ليون وصوفي رأسيهما بالنفي. ابتسم الأب بيريز وقال: «إذن، الآن سنقيم المراسم».

استغرقت المراسم أقل من خمس عشرة دقيقة، وأقل من محاضرة الكاهن بشأن الزواج. لعب فيليب، صديق ليون، دور إشبين العريس، ومدبرة المنزل الأرجنتينية وقفت بقرب صوفي كوصيفة الشرف.

ما إن بارك الكاهن زواجهما، حتى شعرت صوفي بدفق من النور والحرارة، وبأكثر الأحاسيس غرابة وقوة. وكأن كليف كان هناك بينهم. بعدئذٍ، غاب ذلك الإحساس، وشعرت بموجة من السلام المطلق.

وخزتها عيناها لكنها لم تبكِ، بل رمشت لتبعد الدموع منهما. وفجأة مدَّ ليون يده، ولمس خدها. ورأت السعادة والدموع في عينيه. هل شعر بحضور كليف، هو أيضاً؟

بعدئذٍ، قال الأب الكلمات الأخيرة التي تجمع بين الزوجين: «والآن أعلنكما زوجاً وزوجة».

رمشت صوفي بعينيها، ورفعت وجهها لليون، فعانقها بشوق كبير. إنه يحبها!

فجأة، أمسكت وجهه بيديها، وهي تقول: «شكراً لك».

التفت يده حول معصمها، مثبتة راحة يدها على خده.

أضافت صوفي: «أحبك».

- أعلم.

- أحقاً؟

- كنت دائماً أعلم ذلك.

أرادت أن تختفي معه الآن، لكن بقي عليهما أن يوقعا على الأوراق الرسمية. إنه أمر مضحك. صوفي لا تتذكر أبداً هذا الجزء مع كليف، لا تتذكر أنها جلست لتملأ شهادة الزواج وتوقعها. راحت تراقب فيليب وهو يوقع اسمه كشاهد على وثيقة الزواج، ثم مديرة المنزل.

عندها قدم لها الوثيقة لتوقع عليها. أمسكت صوفي بالقلم، وبدأت بقراءة ما كتبه الكاهن.

اسمها: صوفي اليزابيت جونسون.

واسمه: ألونسو تينو غالفان.

غالفان!

غالفان؟ كيف يمكن أن يحدث ذلك؟ لقد تحدثا بشأن ذلك، وقال لها إنه اسم قديم للعائلة. ومع ذلك ها هو أمامها على وثيقة الزواج.

قالت بهدوء وهي تكاد تختنق: «لا!».

ازداد غضبها، فرمت بالقلم، وهي تحدق بالوثيقة للحظة أخرى قبل أن

تبتعد عن الطاولة. لن توقع على هذه الوثيقة. لقد اتفقا على قول الحقيقة! لكنه ما زال غير صادق معها. إنه لا يخبرها بكل شيء. أتراه سيفعل ذلك يوماً؟

سار ليون نحوها سائلاً: «ما الأمر؟».

بقيت تتراجع إلى الوراء، وقد أمسكت أصابعها بقوة بدانتيل تنورتها بينما راح الغضب يندفع في داخلها، ويجعلها تشعر بالدوار.

- من أنت بحق الجحيم؟

www.elromancia.com

١١ - أريدك أنت!

نظر ليون إلى فيليب ورجل الدين، اللذين ما لبثا أن اختفيا وراء بعضهما. أغلق ليون الباب وراءهما. قال وهو يسير نحوها: «أنت تعرفين من أكون».

لن تقع في حبائله مرة ثانية. يستطيع أن يتصرف بهدوء ومنطق، لكن عليه أن يكون صادقاً معها. كيف يمكن أن يعتقد أن تلك ليست مسألة مهمة؟

- أنا أعرف آلونسو هانتسمان.

تابعت وهي تشعر أنها غير محمية بثوبها الأبيض الرقيق من الدانتيل: «لكنني لم أقابل يوماً آلونسو تينو غالفان، وهذا هو الشخص التي تقول هذه الورقة إنني أتزوج به، آلونسو تينو غالفان».

- صوفي!

- لا تتعامل بتنازل معي. لطالما عرفتك باسم آلونسو هانتسمان.

- هانتسمان اسم عائلة أمي قبل الزواج، وليس اسمي الشرعي.

- لماذا إذن تستعمل اسم هانتسمان؟ كان اسمك يدرج في المدرسة كهانتسمان.

- أرادت أمي حمايتي. كانت تشعر بالقلق مما سيقوله الناس إذا علموا أنني ابن تينو... ووافقها والدي على ذلك. ولهذا السبب كبرت وأنا أحمل اسم هانتسمان.

- وما الإسم الموجود على شهادة ميلادك؟

- غالفان.

- سألتك عن اسم غالفان عندما كنا في غابة المطر، وقلت لي إنه اسم قديم للعائلة. لم تقل إنه اسمك.

- إنه ليس الاسم الذي أستعمله.

- لكن الكاهن يعرفه. وفدريكو ألفارو يعرفه أيضاً.

- أصبح اسم غالفان أحد الأسماء المستعارة لدي.

كانت صوفي ترتجف من الغضب. لم تستطع أن تفكر بأي شيء لتتمكن من قوله، فهي تعرف اسم غالفان. هذا الاسم مشهور في الأرجنتين، تماماً كاسم كينيدي في الولايات المتحدة. فعائلة غالفان عائلة أرستقراطية ثرية، ولها سلطة كبرى.

- كنا أصدقاء لسنوات وسنوات، لكنك لم تذكر أبداً اسم غالفان، ولم تخبرني أي شيء عن عائلة والدك. ومع ذلك تينو غالفان والدك، أليس كذلك؟

- بلى.

- ألا تعتقد أن هذا الأمر هام، وكان عليك أن تخبرني به؟

- لم أشعر أنه بهذه الأهمية، إنه مجرد اسم.

- لا، ليس مجرد اسم. إنه اسم عائلة... عائلتك. هل قابلت أحداً منهم يوماً؟

- قابلت أخوتي وأخواتي للمرة الأولى منذ عدة سنين. لكنني لم أقابل بعد زوجة أبي الأخيرة.

- أما زالت حية؟

- نعم.

عادت صوفي إلى الطاولة، وحدقت باسم ليون. آلونسو تينو غالفان! ليس مجرد غالفان، بل آلونسو تينو غالفان. والده هو الكونت السابق تينو غالفان.

- كيف هم أخوتك وأخواتك؟

- إنهم أشخاص جيدون، أذكياء، ويعملون بجد.

عادت لتجلس على الكرسي التي غادرتها قبل قليل. وقالت: «أليسوا من هؤلاء الناس الأثرياء الذين أفسدهم المال، والذين نقرأ عنهم؟».

- لا. لديهم الكثير من المال، لكنهم بعيدون جداً عن كلمة فساد. لقد عانوا الكثير من المشاكل والأزمات، وهذا هو السبب الحقيقي الذي دفعني إلى مقابلة

www.elromancia.com

أخوتي وأخواتي.

جلس ليون على الكرسي المواجه لها، وتابع: «اكتشفت أن هناك من يريد بيع أحد أطفال عائلة غالفان. لم تكن المتاجرة بالرقيق جزءاً من أعمالي، لكن اسم غالفان أثار اهتمامي. وكان عليّ التأكد من الأمر».

- وما الذي حدث بعد ذلك؟

- كان الطفل حقاً من عائلة غالفان، لكنه لم يكن طفلاً في الحقيقة، كان ولداً صغيراً، استغرق الأمر سنة كاملة، سنة طويلة مليئة بالاحباط. لكن في نهاية الأمر آنابيلا ولوسيو تمكنا من استعادة ابنهما المفقود.

- لكم من الوقت حرمت آنابيلا من رؤية ابنها؟

- منذ ولادته تقريباً.

أصبحت ملامح آلونسو قاسية. هزّ رأسه وهو يتابع: «لمدة خمس سنوات بقي الطفل يتنقل من بيت للرعاية إلى ملجأ ثم إلى بيت آخر للرعاية. لم ترغب أية عائلة في تبنيه، كان الجميع يخافون من اسم غالفان».

زم فمه مؤكداً: «بإمكانه أن يكون اسماً مرعباً حقاً».

رفع كتفيه وأمسك بوثيقة الزواج، لينظر إلى الأسماء المدونة عليها.

- أحبت أمي أبي بقوة ومن كل قلبها، وأنا أعلم أنه كان يحبنا أيضاً. لقد ترك لي ودائع مصرفية. وعمل على أن تكون أمي برعاية كاملة بعد موته. لم يكن رجلاً مثالياً من كل الجوانب، لكنه كان والدي، وأنا أشعر بالانتماء إليه. إن لم يكن من أجله، فمن أجل أمي.

- هل يعرف بويد بذلك.

- بويد يعرف أنه لن يكون أبداً أبي، لكنه أيضاً يعلم أن أمي بحاجة إليه. فلقد انهارت تماماً عند وفاة تينو. ولولا وجود بويد، لما بقيت حية إلى اليوم.

أجابت صوفي وهي تمسك بالقلم: «مثلي تماماً. فلولا وجودك، لما كنت هنا اليوم».

أخيراً أصبح فكه القاسي أكثر نعومة وقال: «لكنك تحبينني بعمق ومن كل قلبك».

انحنت صوفي فوق الطاولة، ونزعت الورقة من بين أصابعه، وكررت بنعومة: «أحبك بعمق ومن كل قلبي، آلونسو تينو غالفان».

بعد مرور نصف ساعة، كانت صوفي تتجول في غرفة النوم. وفكرت أن ما قالته له صحيح تماماً. إنها حقاً تحبه كثيراً وبعاطفة لا توصف، لكنها لم تكن يوماً أكثر توتراً في حياتها كلها. قالت لنفسها وهي تنظر إلى زجاجة العصير الموضوعة أمامها على الطاولة: ما بكِ؟ لقد كنت متزوجة من قبل.

لكن، آه! يبدو الأمر مختلفاً جداً عندما تفكر بليون...

فتح الباب، وظهر ليون وهو يرتدي بيجاما من الحرير ورداءً مفتوحاً يظهر عضلات صدره العريض. كانت بشرته تلمع تحت ضوء غرفة النوم الخفيف. قالت وهي تشعر بالسخرية من نفسها بسبب توترها: «ما زلت مرتدية ثوبي، هل عليّ تبديله؟».

- لا

ظهر لمعان حاد في عينيه وحدة في صوته. راح ينظر إليها وكأنها المرأة الأخيرة على الأرض. ثم لف ذراعه حول خصرها، وقربها إلى صدره. عانقها ليون ببطء شديد، حتى إنها شعرت بعظامها تذوب، وبساقيها تضعفان، وبجسمها يصاب بالوهن.

همس في أذنها: «ارقصي معي».

- ليس هناك موسيقى.

عانقها ثانية عناقاً رقيقاً وعاد يهمس لها: «بل، هناك موسيقى. إذا أغمضت عينيك، يمكنك أن تسمعيها».

وشدّها إليه بقوة أكثر وهو يضع يديه على ظهرها: «اسمعي».

وأصغت بانتباه...

في البداية كل ما استطاعت سماعه هو خفقان قلبها القوي واندفاع الدم بقوة في أذنيها، لكن بعد ذلك، وبينما كان يمسك بها وقد أراحت خدها على صدره، سمعت دقات قلبه العميقة الثابتة؛ سمعت نغمة قوية، ثابتة، وراسخة. تماماً مثل ليون.

www.elromancia.com

تنفست بعمق، لتتخلص من التوتر الذي تعانيه. وعندما أخذ ليون نفساً جديداً، فعلت مثله، لتناغم نفسها معه. لتناغم تلك النغمة الثابتة... لتكون قوية وثابتة مثل ليون...

ومع دقات قلبه القوي تحت أذنها، رقصا رقصة هادئة كتلك الرقصة الأولى التي رقصاها في قاعة الرياضة في المزهرت. شعرت صوفي وكأنها في الرابعة عشرة من عمرها مرة ثانية؛ فتاة خجولة، قليلة التجارب، ومليئة بالحماس بشكل مؤلم. من خلال إلقاء رأسها على صدره، ومن خلال أصابعه التي تلامس ظهرها، شعرت وكأنها تكاد تفقد السيطرة.

لا! ابتسمت ووجهها قرب كتفه. لقد فقدت السيطرة الآن.. وبسعادة سلمت زمام الأمور إليه. سألها ليون: «أخبريني ماذا تريدين أن تفعلي؟».

بنعومة مررت يدها على صدره وقالت: «يعود الأمر لك».

- حسناً، بالنسبة لي، ما سنفعله يعود لك القرار بشأنه.

- وإذا كنت لا أريد...؟

رفع كتفيه وقال: «سنرقص، نلهو، أو لا نفعل شيئاً».

همست بصوت أجش: «وإذا كنت أريد...؟».

- سنفعل ما تريدين.

- ومن دون أن تعرف ما الذي أريده؟

علت وجهه ابتسامة وقال: «إني متأكد أنني سأستمتع بأي شيء معك».

أما هي فلم تكن متأكدة من ذلك. قالت: «قد أكون زوجة مملة».

- ماذا؟

- زوجة مملة.

ظهر التوتر عليه وتحركت عضلات جسمه بقوة، قال: «لا يمكن أن تكوني كذلك».

- لم أشعر أبداً بالحب من قبل، كان الأمر.. سيئاً على الدوام.

ولمست بلسانها شفتها العليا، فلقد أصبح فمها جافاً جداً.

- آه، لا عجب أنك تكرهين الزواج.

- أنا لا أكره الزواج، أكره الكذب. أكره أن يفعل الرجال ما يريدونه وأن يتوقعوا من النساء أن يلتزمن البيوت ويفعلن ما يطلب منهن.

غطى ألونسو فمها بإصبعه ليسكتها. عانقها حتى شعرت بالدوار في رأسها وبالارتجاف في ساقيها. بعد لحظة طويلة وقال بنعومة: «لن تعيشي هذه الحياة معي أبداً. والآن أكرر: ماذا تريدين؟».

والتقت نظراتهما.. تنفست صوفي بعمق وهي تشعر بنبضها يضرب بقوة، وبدقات قلبها تتسارع. شعرت كأنها تغرق أكثر فأكثر في عينيه الزرقاوين المتوهجتين.

همست أخيراً: «أريدك أنت... أريد كل شيء».

بالطبع! إنه زوجها وصديقها، وسيبقى كذلك لما تبقى من حياتها. غمرتها السعادة حين حملها ليون بين ذراعيه وتوجه نحو السرير. ليغرقا معاً في نهر جارف من الأحاسيس الرائعة التي لم تعرف صوفي بوجودها من قبل.

بعد مرور عدة ساعات، كانت صوفي شبه نائمة، عندما شعرت بليون يقترب منها. وكأن الإحساس الأكثر تلقائية في العالم هو أن تتحرك لتنام بين ذراعيه. قالت وهي تمرر يدها على صدره: «أخبرني شيئاً».

- ماذا؟

- كيف تورط كليف مع فدريكو ومع ذلك الرجل فالديز؟

التفت أصابع ليون حول خصلة من شعرها. وقال: «المال! كما تعلمين، تعرض كليف لمشاكل مالية، تاجر بالبورصة وخسر كل ما يملكه. أصيب بالرعب من الخسارة، فعمل على أموال الحساب الخاص للويزا».

وخسرها أيضاً. استنتجت صوفي ذلك وهي صامتة، لقد فهمت الآن كيف كان الوضع. بل فهمت أكثر مما أرادت، إنها تتذكر الأشهر التي كانت تمر وكليف لا يعود إلى المنزل حتى ساعة متأخرة من الليل. تتذكر غضبه ويأسه وحزنه. كان ينهض في الصباح وهو يشعر بألم في معدته، ويعود من العمل وهو يحسّ بألم في قلبه. لا عجب في ذلك! وسألته: «ألم تعرف لويزا بالأمر؟».

- وجد كليف طريقة أخرى ليفي بعض ديونه.

www.elromancia.com

تمتمت: «فدريكو!».

هزّ ليون رأسه وقال: «لم يكن كليف يدري بما يورط نفسه».

- ومتى علم بذلك؟

رفع ليون كتفيه بانزعاج: «ربما في النهاية».

النهاية... يا لها من كلمة مرعبة وقاتلة؛ النهاية. كلمة كهذه، لا أمل فيها، لا حلول، ولا سلام.

النهاية هي عكس البداية، إنها فقدان للأمل والتفاؤل.

همست صوفي و هي ترتجف: «من أخبره؟».

شعرت بليون يتوتر، وبعضلاته الدافئة تصبح أقسى وهو يجيبها: «أنا من فعل ذلك».

ملأت رأسها صور من تلك الليلة. صور بشعة، مليئة بالعنف، فارتجفت متسائلة كيف يمكن لليون أن يتحمل ذلك كله.

- أفي تلك الليلة ذاتها، عندما اعترف لك بـ... ضعفه؟

- نعم.

لم يقل أي شيء آخر وأدركت صوفي أنه لن يفعل. لقد عاش الجحيم تلك الليلة في ساوباولو، أيضاً. ليس فقط من الناحية الجسدية، بل عاطفياً وعقلياً وروحياً أيضاً. خسارة كليف ستعذب ليون إلى الأبد. إنه كابوس لا يستطيع الهروب منه، ولا يستطيع التحدث عنه.

بنعومة لمست خده وقالت: «أحبك».

وضع يده فوق يدها، ممسكاً براحة يدها على خده، قال: «أنت تعلمين أنني بحاجة إليك، أليس كذلك؟».

شعرت بالألم يعتصر قلبها.

- آسفة لأنني احتجت إلى هذا الوقت كله لأفهم.

- من الأفضل أن نصل متأخرين من ألاّ نصل أبداً.

وشدّها بقوة أكثر إليه.

في الصباح، استيقظت صوفي ووجدت نفسها بمفردها في السرير. كانت

الستائر لا تزال مقفلة ومكيف الهواء يطن بهدوء. لا بد أن الطقس أصبح حاراً في الخارج. هذا ما فكرت به وهي تتثاءب وتتمطى.

بعد أن استحمت، ارتدت رداء ليون الحريري الذي كان مطروحاً على الأرض بجانب السرير. ربطته على خصرها وسارت نحو المطبخ لترى إن كانت تستطيع إحضار فنجان من الشاي لتعود وتشربه في السرير.

سمعت أصواتاً قادمة من غرفة الطعام، وإذا فيليب يقول: «هل أنت متأكد بشأن الطائرة المروحية؟ ما إن نستعملها، حتى نصبح معرضين لأي شيء».

أجاب ليون بصوت حازم: «إنها أسرع طريقة لإخراجها من هنا».

علق فيليب: «صحيح، وأسرع طريقة لتفجيرك إلى شظايا».

ضغطت صوفي جسمها إلى الحائط وهي كالمذهولة. إنهم يتحدثون عنها، يتحدثون عن إبعادها، فيما ليون سيبقى هنا.

قال ليون: «لن أتعرض للتفجير، فهذا أمر سهل لفالديز. إنه يريد مواجهتي».

ضحك، لكن ضحكته أرسلت موجات من الارتجاف في عمودها الفقري. لا يبدو على ليون أنه يستمتع بما يحدث. بدا بارداً، قاسياً وهادئاً. تحدث الرجل الثالث وهو أوسترالي الجنسية: «لن نتركك هنا، صديقي. إذا أردت أن تصبح طعاماً مسحوقاً فيمكنك الذهاب إلى كوينتر لاند».

قال ليون بصوت حاسم: «لا خيار لدي، كما أن الأب بيريز يريد المغادرة. لقد وعدته بأن نعيده ليقوم بصلاة ليلة الميلاد. أريدكما معاً في الطائرة المروحية مع صوفي».

قاطعه فيليب: «لن أتركك بمفردك هنا. لقد استأجرتني للقيام بعمل، وأريد أن أنهي عملي. يمكننا أن نتفرق. أنا أبقى معك وطورك يبقى مع صوفي».

وافق طورك: «يمكنني القيام بذلك. سأوصلها إلى عائلتك في بيونس أيرس. وستكون بأمان معي».

تحركت الكراسي، ونهض الرجال. قال ليون يذكرهما: «ستغادر الطائرة المروحية بعد عشرين دقيقة. سأذهب لإحضار صوفي».

www.elromancia.com

لم يكن بحاجة لكي يذهب بعيداً. خرج من غرفة الطعام ليجدها واقفة هناك. أمسك ليون بها قبل أن تصل إلى غرفة النوم. لفّ يده حول ذراعها وأدارها إليه.

- انظري إلي.

لم تستطع. إنه يبعدها عنه. سيعمل ليون على وضعها في الطائرة المروحية مع الكاهن والضابط، وهو سيبقى هنا. سيبقى في هذا الجحيم.

ارتجفت بينما كان يمسك بيديه كتفيها. سألها: «هل تعتقدين أن هذا الأمر سهل عليّ؟ هل تعتقدين أنني سعيد بما يحدث؟».

حولت يديها إلى قبضتين وقالت: «يمكنك أن تغادر. ليس عليك البقاء. ليس عليك القيام بهذا».

- بالطبع عليّ القيام بذلك. هذا عملي.

- إنه ليس عملك. أنت تملك منجماً من الزمرد وتعمل في التجارة.

- صوفي، لقد لاحقنا فالديز منذ فترة طويلة.. وطويلة جداً. وها هو هنا الآن.

تحولت نبرة ليون إلى نبرة قاسية كالصوان وهو يتابع: «وهو يريد القضاء عليّ».

- ولهذا السبب بالتحديد عليك الهروب.

ابتسم ابتسامة ضعيفة وقال: «أنا لا أهرب».

صرخت به: «وأنت تتساءل لماذا احتجت إلى كل هذا الوقت لتحصل على زوجة!».

- إذا لم أبقَ، وأتعامل مع هذا الأمر الآن، سوف اضطر إلى التخفي والقلق طوال عمري. لا أريد الاختباء، صوفي. لا أريد الإحساس بالقلق بشأن الناس الذين أحبهم. انظري كيف تمكن فالديز من إحضاري إلى هنا هذه المرة؟

بلعت صوفي ريقها. نعم، فعل ذلك من خلالها... أغمضت عينيها وهزت رأسها: «لم يكن لديك أي حق بالزواج بي... لم يكن لديك أي حق بأن تفعل ذلك بي».

- بل يحق لي ذلك. فإذا حدث لي أي مكروه، على الأقل ستكونين بأمان. ستصبحين وريثتي.

أمسكت بقميصه بقوة وضغطت بوجهها على صدره: «وريثتك؟ هل هذا أفضل ما تقدمه لي؟ يوم واحد من الزواج وتتركني مع المال؟».

تركت قميصه، وأبعدت وجهها عنه وهي تتابع: «دعني. إنني جاهزة. فأنا لم أحضر أي شيء معي. ولن آخذ أي شيء من هنا».

اقترب منها وقال: «صوفي».

ابتعدت عنه أكثر: «لا، لا يمكنك أن تطلب مني أن أكون سعيدة بما يجري. أنا لم أتزوج بك ليلة البارحة لأصبح أرملة اليوم».

- لن أموت اليوم!

غطت وجهها بيديها، باحثة عن القدرة لتسيطر على نفسها. لا يمكنها القيام بذلك. لا تستطيع أن تحبه وأن تخسره، وأن يتوقع منها أن تقابل الأمرين بسهولة. ليس من المفترض أن يحدث هذا. لقد قدم لها العالم ليلة البارحة، ولا يمكنه أن يسرقه منها الآن.

رفعت رأسها، ونظرت إليه والدموع تملأ عينيها: «لماذا يريدك فالديز؟».

مدّ ليون يده ليمسح دمعة ملتصقة عالقة برموشها: «لأنني قتلت أخاه».

تنفست ورفعت ذقنها إلى الأعلى: «أخبرني المزيد».

نظر إليها للحظة طويلة متعمداً، ثم تنهد وقال: «كنت هناك في تلك الليلة الأخيرة في ساوباولو. كنت هناك ليلة مقتل كليف».

عضت صوفي على شفتها السفلى بقوة حتى شعرت بالدماء تسيل منها..

ظهر فيليب في آخر القاعة، وأشار إلى ليون. رأت صوفي فيليب لكن ليون لم يتحرك، ولا هي أيضاً.

قالت: «ما الذي حدث في تلك الليلة؟».

أغمض ليون عينيه، وظهر الألم على ملامح وجهه.

- كنت واحداً من الموجودين هناك، وبأعجوبة ما لم أمت، لكنني شاهدت الأعمال الوحشية التي حدثت في تلك الليلة. وأنا الرجل الوحيد الذي ما زال

www.elromancia.com

حياً، والذي بإمكانه أن يدين فالديز بما حدث، ويستطيع تجريمه.

- إذن، لماذا لم يلاحقك قبل الآن؟

لم يعد صوتها حاداً أو متوتراً. كانت فقط تشعر بالتعب... بالتعب والخوف.. فليون سيبقى هنا.

- لأنني حقاً ماهر.

حاول أن يكون مرحاً، حاول أن يبسط الأمور لتخف وطأتها عليها. لكنها لم تستطع أن تبتسم له. حدقت به، وكأنها تدرسه.

إنه قوي جداً، ويجلعها تشعر بالحماية بشكل لا يصدق. لقد كان كذلك منذ البداية. وهي بالطبع لن تعمل على تغييره الآن. كل ما بإمكانها القيام به هو أن تحميه وأن تصلي لكي يعود إليها سليماً معافى. وقفت صوفي على رؤوس أصابعها وعانقته، وهي تضغط بيدها على صدره. بعد ذلك ابتعدت بتردد وهي تقول: «من الأفضل لك أن تبقى كذلك».

- ارتدي بنطلون جينز، علينا أن نسرع.

وجدت صوفي بنطلون جينز وقميصاً زرقاء اللون في الخزانة. لم يكن لديها أي خيار بالنسبة للحذاء، فانتعلت الحذاء الرياضي.

أمسك ليون بيدها ما إن خرجت من غرفة النوم: «ستسير الأمور على ما يرام».

نظرت إليه وتعابير وجهها كئيبة: «ليس إن لم تعد إلى بلادك لأجلي».

١٢ - رجل فوق العادة

قادها ليون خارج المنزل، وأصابعها ملتفة على أصابع يده. لكن بدلاً من السير نحو النهر والرصيف، سارا في الاتجاه المقابل، باتجاه المنطقة الخلفية من المنزل. كانت أشجار الغابة تلتف بكثافة حول كافة جوانبه، مغطية الحاجز الحديدي الكبير الذي يحيط بالمكان.

سارا باتجاه ما بدا كمرآب كبير، بني من الاسمنت والفولاذ، وثبت بين أشجار البامبو الخضراء وأشجار النخيل الكثيفة. كان سطح المرآب، أو ما استطاعت صوفي أن ترى منه، مصنوعاً من الفولاذ، لكنه لوّن بألوان مختلفة متدرجة من اللون الأخضر.

فكرت أنها عملية للتمويه. شعرت بمعدتها تتقلص، وهي تدرك أن كل ما تعيشه حقيقي. مسحت راحتي يديها الرطبتين بجانبي بنطلونها الجينز الأسود، وهي تشعر بالتعب والتوتر. إنها فعلاً ستغادر، وآلونسو سيبقى هنا. تشابكت أصابع آلونسو بشعرها، ورفع وجهها لتنظر إليه: «لقد مررت بأوضاع أخطر من هذه بكثير، صوفي».

بدت عيناه الزرقاوان أكثر قوة في ضوء النهار. رفعت يدها ولمست خده، ومررت إصبعها فوق الجرح الأبيض الباهت.

- كيف تعرضت لهذا الجرح؟

التوت شفتاه، وبدت العاطفة أقوى في عينيه وأجابها: «في الليلة التي قتلت فيها أخ فالديز».

حدقت به غير مصدقة وسألته: «أي نوع من الحياة عشتها؟».

www.elromancia.com

أمسك بأصابعها، وقربها من فمه، ثم قال: «حياة قاسية جداً، لكن كان لها مكافآت لا تصدق».

بعدئذٍ ابتسم، وغاب الحزن من عينيه، كما تحمل الريح الغيوم بعيداً لتظهر السماء الصافية الزرقاء.

- أنت جائزتي! ويجب أن تعرفي أنني لن أخسرك الآن، ليس بعد كل ما مررنا به معاً.

فُتحت الجدران الجانبية للمرآب، وانقسم السطح الفولاذي الكبير. تفتحت جوانب المبنى الكبير كما تتفتح الزهرة. اتسعت عينا صوفي عندما شاهدت الطائرة المروحية في الداخل.

سار ليون برفقتها إلى الطائرة، وكانت مروحة الطائرة قد بدأت بالدوران. شعرت صوفي بالضغط الذي يسببه دوران المروحة، ولفح الهواء شعرها وقميصها. صرخت وهي تقف عند الباب: «متى سأراك؟».

حملها ليون، ووضعها داخل الطائرة المروحية وهو يقول: «في بيونس آيرس».

في الداخل، تحرك طورك إلى الأمام ليتأكد من صلاحية الباب. انحنت صوفي إلى الخارج، راغبة في الإمساك بليون. صرخت وهي تشعر بأن الضجة لا تحتمل: «لا أسألك أين، بل متى؟».

- لتكن لديك ثقة بي.

بعد ذلك أغلق ليون الباب، وتراجع إلى الوراء. وارتفعت الطائرة المروحية عمودياً في السماء.

همست صوفي: إني أفعل. وضغطت بوجهها على الزجاج لتنظر إلى ليون في آخر لمحة. لكن الطائرة راحت ترتفع بسرعة، وبدت الأرض بعيدة جداً. وما هي إلا لحظات حتى اختفى آلونسو. وبينما كانت صوفي تنظر إلى الأسفل لم ترَ إلا بحراً من اللون الأخضر. كان السطح الفولاذي الأخضر قد أغلق. أمسك طورك بذراعها. قال وهو يدفعها نحو المنطقة الخلفية في الطائرة: «لنعمل على وضع الحزام لمقعدك».

تعثرت وهي تجلس على المقعد، بالقرب من الأب بيريز. انحنى الرجل العجوز إلى الأمام وربت على يديها قائلاً: «ليكن لديك إيمان بالله».

الإيمان! كررت بصمت، وهي تركز على تثبيت حزام المقعد. لم يكن ذلك العمل سهلاً عليها، لا سيما أن يديها راحتا ترتجفان بشدة.

أجبرت نفسها على الانشغال بالمناظر الطبيعية تحتها. كانت الشمس ترتفع في السماء، والمناطق الخضراء الناعمة تلتمع بسبب أشعة الصباح الذهبية التي تعد بحرارة قوية في النهار. الإيمان! هذا ما هي بحاجة إليه.

بدأوا بعملية الهبوط، للمرة الثانية. فمنذ ساعة ونصف أنزلوا الأب بيريز في بوساداس، التي تقع في جنوب الشلالات. ثم انطلقوا على الفور، متوجهين إلى بيونس أيرس على الشاطىء.

وأخيراً بدأت ضجة الطائرة تنخفض تدريجياً، فنظرت صوفي إلى الخارج من النافذة ورأت الانتشار الكبير للمدينة العالمية الكبيرة.

هبطت الطائرة بشكل عمودي على ممر في وسط المدينة. وعلى الفور تحرك طورك إلى الأمام، فتح قفل الباب، وقفز إلى الخارج ليتحدث مع الرجل الذي كان في انتظارهم. كان الرجل يرتدي ثياباً سوداء اللون؛ قميصاً سوداء وبنطلوناً فضفاضاً أسود اللون، وحزاماً أسود وحذاء أسود. كان يقف وقد شبك ذراعيه على صدره وهو يضع نظارتين شمسيتين. أخيراً عاد طورك إلى الطائرة، وفتح الباب وهو يقول: «هيا، عزيزتي. أنت بخير هنا».

لم تشعر صوفي أنها بخير. تنفست ببطء، ونفخت خصلة من شعرها لتبعدها عن عينيها. شعرت أنها متعبة، منهكة، وشديدة التوتر. هذا كثير عليها! الكثير من العنف، الكثير من القلق، والكثير الكثير من التوتر.

هذه هي بالتحديد الأشياء التي أرادت أن تتجنبها. عالم والديها كان مليئاً بالتوتر والمصائب، وهي لم ترغب بتلك الحياة لنفسها. نظر طورك إليها: «هل تريدين مني أن أبقى معك؟».

سيبدو طلبها ببقائه سخيفاً، هي تعلم أن ليون بحاجة إليه في مكان آخر. إنها

تفضل أن يعود إلى آغوزو ليؤمن بعض المساعدة لفيليب وآلونسو. استجمعت صوفي شجاعتها، وسارت نحو الرجل العابس الذي يتشح بالسواد.

قالت بضعف وهي تضغط بيديها الرطبتين على جانبي بنطلونها الجينز: «مرحباً، أنا صوفي».

أنزل الرجل ذراعيه عن صدره، ومدَّ يده نحوها مصافحاً: «لازارو هيريرا».

تكورت شفته العليا عن ابتسامة باردة قاسية وهو يتابع: «أنا أحد أخوة آلونسو».

أمسكت يده بخشية. كان آلونسو كبير الجسم لكن لازارو أطول منه وأضخم. سألته بصوت مضطرب: «أحدهم؟».

رفع لازارو كتفيه، ونزع نظارتيه الشمسيتين. لمعت ابتسامة في عينيه الداكنتين وقال: «نعم».

- هل كلهم.. يشبهونك؟

ضحك بنعومة وغابت الخطوط القاسية عن وجهه. وللحظة، بدا شاباً وأكثر شبهاً بآلونسو.

- آه لا! أنا الأكثر وسامة بينهم.

فتحت فمها متفاجئة، وأصدرت صوتاً ناعماً كأنها تختنق. ضحك لازارو مرة ثانية قبل أن يعيد نظارتيه إلى عينيه.

- في الواقع، أنا هنا لأنني الشخص الوحيد الذي لا يجرؤ أحد على التعرض له.

بدا لها غير منزعج البتة من ذلك...

- تعالي، سآخذك إلى منزل دانتي. بقية أفراد العائلة مجتمعون هناك لمناسبة عيد الميلاد، وهم بشوق كبير لمقابلتك لا سيما أنابيلا.

عرفت صوفي الاسم، فقالت: «أنابيلا، التي أعاد آلونسو إليها طفلها؟».

- هي بذاتها.

استقلا المصعد حتى وصلا إلى مستوى الطريق. هناك كانت سيارة ليموزين

سوداء بانتظارهما. ساعدها لازارو لتجلس في المقعد الخلفي للسيارة ثم جلس قربها.

بعد مرور عشرين دقيقة توقفت السيارة أمام منزل كبير أنيق في ريكولتا، أحد ضواحي بيونس أيرس القديمة والأكثر ثراء. كانت الشمس تسطع على الجدران الحجرية ذات اللون التبني الغامق، وعلى أشجار الزينة المشذبة والموضوعة قرب الباب، وكلها مزينة بحبال مليئة بالشرائط البيضاء والذهبية اللون.

لم ينتظر لازارو السائق ليفتح له الباب. فتح الباب، وقدَّم يده إلى صوفي ليساعدها على الخروج. وقبل أن يصلا إلى بوابة المنزل الحديدية، فُتح الباب الأمامي وخرج الجميع للقائهما. فتاة واحدة، وعدد من الصبية، امرأتان شعرهما أشقر، وأخرى ذات شعر أسود، وعدد من الرجال وراءهن.

تراجعت صوفي خطوة إلى الوراء فاصطدمت بلازارو. أمسك الرجل بها لتتمكن من الوقوف بثبات، وهمس في أذنها: «عندما قابلتهم للمرة الأولى، شعرت كما تشعرين الآن تماماً».

لكنهم، في الواقع، لطفاء جداً. هذا ما اكتشفته، وهي تجلس معهم لتناول الغداء، تماماً كما قال لها ليون. فهم ليسوا أشخاصاً مزيفين بل هم رائعون. النساء ذكيات ومرحات، بدون ذكر أنهن صبورات جداً مع كل ذلك التفاخر الذكوري المسيطر على الغرفة.

سُمح للأطفال بمغادرة طاولة الطعام عندما انتهوا من الأكل، ثم استدارت أنابيلا نحو صوفي وقالت: «لا يمكنك السيطرة عليهم في يوم كهذا. إنها ليلة الميلاد، وهم مصابون بالجنون فعلاً».

اتسعت ابتسامتها وهي تراقب ولديها يركضان في القاعة.

قالت وهي تشير إلى الصبي الأطول: «هذا طوماس، وذاك تيلو، الولد الصغير. إنه تقريباً في الخامسة من عمره. من الصعب أن أصدق أن هذه هي السنة الثالثة فقط التي نمضي فيها عيد الميلاد معاً. أي فرق قد تحدثه بعض السنين!».

انحنت زوا إلى الأمام وهي تحمل طفلاً ملفوفاً بالقماط قرب صدرها. وقالت: «إذن، أخبرينا عن الزفاف».

ابتسمت ديزي وقالت: «إذا كنت لا تعلمين، فزوا هي الأكثر رومانسية في العائلة».

هزت ديزي رأسها باتجاه الرجال الذين كانوا يتشاجرون بانفعال عند نهاية الطاولة، وتابعت: «كان عليها أن تكون كذلك. فلقد أغرمت بلازارو».

انضمت أنابيلا إليها بضحكة كبيرة وقاطعتها لتقول: «يمكنك القول إن ديزي هي الأخت الكبرى هنا، فلديها دائماً رأي في كل شيء، لكن رأيها يبدو صائباً على الدوام».

أعلنت الخادمة أن القهوة والحلوى أصبحت على الشرفة، فدعت ديزي الجميع إلى الانضمام إليها في الخارج. إلا أن صوفي، التي كانت منذ لحظات قليلة تجد نفسها مستمتعة، لم تتمكن من السيطرة على دموعها.

الجميع هنا يأكلون ويشربون، يضحكون ويتحدثون، ومع ذلك آلونسو ما زال في آغوزو، ولا يعرف غير الله ما الذي يفعله.

ابتعدت عن الشرفة، وعادت إلى المنزل. وبسرعة مسحت دموعها. كل ما تعرفه عنه أنه يواجه الخطر، وربما يتعرض للإصابة أو.. للموت.

قاطع أفكارها الكئيبة صوت رجولي عميق: «إنه رجل ذكي وقوي جداً».

رفعت صوفي وجهها ورمشت بعينيها لتخفي دموعها. بدا الرجل أسمر البشرة طويل القامة كالباقين، لكن أنفه منحن قليلاً، وخديه بارزان أكثر، ويعقد شعره الطويل كذيل الفرس. فكرت، لا بد أنه الزعيم وهو زوج أنابيلا.

- أنت لوسيو؟

هزَّ الرجل رأسه، ولمحت صوفي مسحة من الحزن في وجهه وفي عينيه السوداوين. قالت: «طفلك هو الذي وجده آلونسو».

- لم يكن طفلاً عندما وجده آلونسو. كان في الخامسة من عمره.

ضاقت عينا لوسيو، وللحظة بدا صامتاً. وشعرت صوفي أنه يتذكر الماضي الأليم، والسنوات التي حرم فيها من ابنه. بعد ذلك أصبحت تعابير وجهه أكثر

رقة، ورفع كتفيه وتابع: «لكن آلونسو وجده، وعندما عاد إلينا كان ذلك بمثابة معجزة».

- لا شك بذلك!

اتسعت ابتسامة لوسيو وقال: «لدينا ولدان. عندما كان طوماس في آخر ميتم اتخذ تيلو صديقاً له، أتى تيلو معه عندما استعدناه، فتبنيناه. وهكذا، كما ترين، في عيني طوماس، آلونسو هو بطل خارق. إنه سوبرمان. العم آلونسو أعاد لطوماس أمه وأباه. وأعطى تيلو الصغير عائلة أيضاً».

كررت بنعومة: «سوبرمان؟».

- كلام سخيف، لكنك تعرفين الأطفال.

شعرت بإحساس من الكبرياء والحنان معاً وقالت: «لا يبدو كلاماً سخيفاً أبداً، فأنا أمازح آلونسو دائماً وأقول له ذلك».

عضت على شفتها، وهي تتصور الليلة الأولى حين رقصا في لانجلي آلمزهرت.

- أنا أعرفه منذ بداية عمري. وما زلت إلى الآن أناديه سوبرمان.

- إذن تعرفين أن بإمكانك الاعتماد عليه.

ابتلعت الغصة التي تضغط على حلقها: «أنا فقط.. أتمنى لو أنه هنا».

ابتلعت غصة ثانية وهي تحارب التعب والدموع: «إنه الميلاد».

صحح لوسيو لها بلطف: «بالكاد! ما زال أمامك يوم بأكمله».

وهكذا انتظرت صوفي، محاولة أن تخفي خوفها، وأن تحافظ على شجاعتها.

في تلك الليلة نامت في غرفة الضيوف، واستيقظت على صراخ الأطفال وحماسهم في صباح يوم الميلاد. ومع ذلك لم تسمع كلمة منه، هذا ما فكرت به وهي تراقب الأطفال يفتحون علب الهدايا، التي كانت ملفوفة بأوراق حمراء وخضراء. كانت الأوراق والأشرطة ممزقة في كل مكان. لكن الأطفال بدوا سعداء، وهذه هي روح الميلاد.

فقط طوماس، الصبي الصغير الوسيم بعينيه الخضراوين وبشرته السمراء

www.elromancia.com

الرائعة، رفع رأسه عن الكومبيوتر الجديد ليسأل: «متى سيعود عمي آلونسو؟».

صمت الكبار جميعهم، وساد الصمت والسكون. بعدئذٍ، استلمت أنابيلا زمام الأمر وأجابت بمرح: «قريباً، طوماس. عمك لا ينسانا أبداً في عيد الميلاد».

استدارت أنابيلا ونظرت إلى صوفي وابتسمت لها. بدت ابتسامة أنابيلا قاسية وقوية، تشبه كثيراً ابتسامة آلونسو وهذا ما جعل عينا صوفي تخزانها. تابعت أنابيلا: «آلونسو واحد من عائلة غالفان».

كررت صوفي بصمت: واحد من عائلة غالفان! لكن ذلك لم يطمئنها كثيراً. كان الوقت يمر بسرعة حتى غابت الشمس وحل الظلام.

كاد الميلاد أن ينتهي. وكانت الساعة قد تجاوزت العاشرة ليلاً عندما وضعوا الأطفال أخيراً في أسرّتهم. وقرابة منتصف الليل جلس من تبقى من أفراد العائلة في غرفة الجلوس يشربون القهوة ويتحدثون. كانوا يتحدثون دائماً، وأكثر من كان يتحدث بينهم، دانتي ولازارو. وأكثر الأوقات كانا يحنيان رأسيهما الداكنين في حديث عميق وجدي.

قفزت صوفي عندما أعلنت دقات الساعة الواحدة. منذ نصف ساعة وضعت جانباً فنجان القهوة الذي لم تتذوقه على الطاولة قرب كرسيها. كانت تعلم أن السهر لوقت متأخر من الليل هو من العادات المتبعة للطبقات الراقية في الأرجنتين، لكن صوفي كانت مرهقة، ومستنزفة عاطفياً. انتهى عيد الميلاد ولم تسمع أية كلمة من ليون.

عليها أن تذهب إلى سريرها، لتتمكن من النوم. النوم هو أفضل شيء في وقت كهذا. لكن عندما أصبحت في القاعة، بدلاً من أن تصعد الدرج فتحت الباب الأمامي وسارت إلى الخارج. ثم أغلقت الباب بنعومة وراءها.

كان الليل ما يزال دافئاً. وببطء نزلت الدرجات الأمامية، ولاحظت للمرة الأولى أن المنزل محمي من جهة الشارع بواسطة بوابة من الحديد مزخرفة ومزينة بالذهب.

ما الذي ستفعله إذا لم يعد آلونسو؟ إلى أين ستذهب؟ وأين ستعيش؟ لكنها لا

تريد أن تفكر بهذه الأمور. ليون سيعود إلى بلاده. قال لها إنه سيعود لأجلها. وهي تعرفه، وتثق به. ليون لا يعطي وعوداً لا يرغب في المحافظة عليها والوفاء بها.

فُتح الباب الأمامي. وظهر دانتي من خلال الضوء الأصفر المنبعث من فتحة الباب. سألها: «هل ترغبين برفقة أحدهم؟».

من بين أفراد عائلة غالفان، كان دانتي الأكبر سناً والأكثر وسامة. هو وأنابيلا كانا كنجوم السينما، لكن ما يعجب صوفي بدانتي هو ذكاؤه وحنانه. إنه كالآخرين فخور بنفسه، لكن قوته حقيقية، تماماً كاستقامته.

تماماً مثل حبيبها آلونسو.

فكرت، إنه لأمر مضحك، فعائلة غالفان ليست أبداً كما توقعتها. قد يكون الرجال عدائيين في عالم الأعمال، ومن المحتمل أنهم حصلوا على شهرتهم لكونهم قساة القلوب لا يرحمون، لكن ما هو مهم لديهم هو العائلة.

نزل دانتي الدرج وقال: «ديزي وأنا كنا نتحدث، ونحب أن نقيم حفل زفاف لك ولآلونسو، عندما يعود. لا يبدو الأمر جيداً بالنسبة إلى العائلة أن يتزوج المرء من دون احتفال».

ابتسمت له بامتنان وقالت: «شكراً لك. وشكراً لك لقولك عندما يعود آلونسو، وليس إن عاد».

لمعت عينا دانتي الذهبيتان باللطف والحنان: «لا شك عندي مطلقاً أنه سيعود عما قريب».

شعرت برجفة تسري في عمودها الفقري، وملأها التوتر والفضول. فسألته: «أبداً؟».

- أبداً.

لمعت أضواء سيارة عبر الشارع، محدثة دفقاً عريضاً من الضوء في الليل. بدأ دانتي يصعد الدرج، عائداً إلى المنزل، وقال: «ابقي عينيك مفتوحتين. فقد ترين الميلاد بعد».

حبست أنفاسها وهي تراقب تقدم السيارة، آملة.. مترقبة.. وراحت،

تصلي. ماذا إذا كان هذا آلونسو؟ ماذا إن كان قد عاد فعلاً إليها؟

خففت السيارة من سرعتها واستدارت في وسط الشارع، ثم عادت أدراجها باتجاه الطريق الذي أتت منه.

عضت صوفي على شفتيها. من السخافة أن تفكر أن آلونسو سيظهر أمامها من الفراغ.

لكن عندما سارت السيارة نحو زاوية الشارع باتجاه المنزل، وبعد أن بدا دانتي واثقاً جداً من نفسه، ومليئاً بالثقة، وكأنه يعلم شيئاً هي لا تعلمه، عادت آمالها تكبر قليلاً. فكرت أنه ربما... فقط وللحظة، فكرت أنه...

- صوفي!

همس الصوت الهادىء في الليل... شعرت كأنها تصلبت في مكانها وغمرتها القشعريرة.. نظرت إلى الشارع، تبحث بعينيها عبر الظلام. رأت شخصاً يتحرك في الظلال. رجل ضخم، طويل القامة، مهيب بشكل لا يوصف. إنه حبيبها...!

لم تستطع الوصول إلى الباب بالسرعة التي رغبت بها. أخذت تهز البوابة محاولة أن تفتحها. وصرخت: «ما الذي تفعله هنا؟ كيف وصلت إلى هنا؟ لماذا لا تُفتح هذه البوابة؟».

قال آلونسو ساخراً: «أنت حقاً قليلة الصبر، أليس كذلك؟».

سرعان ما وجد ليون القفل وأداره ففتحت. دفع البوابة على مصراعيها، ولفّ ذراعيه حول صوفي وضمها إليه بقوة.

- ميلاد سعيد، عزيزتي.

فتح الباب الأمامي مرة ثانية، وخرج منه أفراد عائلة غالفان، نزل لوسيو الدرج وضم آلونسو إليه بضمة كبيرة. رمشت صوفي بعينيها لتبعد دموعها بينما كانت ذراعي لوسيو الكبيرتين تحيطان بليون، وترفعانه عن الأرض. لم ترَ في حياتها لقاء أكثر حباً أو إخلاصاً من ذلك.

وبينما كان أخوة وأخوات آلونسو يحيطون به ويرحبون به لعودته إلى المنزل سالماً، أدركت صوفي أن آلونسو هو حقاً واحد منهم. إنه من عائلة غالفان.

وغالفان ليس مجرد اسم عائلة، كل ما في آلونسو هو من عائلته: القوة، الروح، والكبرياء.

وتماماً مثل البارحة. عادت الفوضى إلى المنزل، فالضجة أيقظت الأولاد. وتعلق تيلو وطوماس بعمهما، فعانقاه بذات القوة التي عانقه فيها والدهما، وعادت عينا صوفي تؤلمانها من جديد.

هذا ما أرادته طيلة حياتها: العائلة.. الأخوة والأخوات.. والحب.

لفت أنابيلا ذراعها حول خصر صوفي وجرّتها إلى المطبخ مع كل شخص آخر من العائلة. سأل لوسيو بينما كانت أنابيلا تخرج الطعام من البراد لتحضر طبقاً خاصاً بالميلاد من أجل آلونسو: «إذن، أخبرنا ما الذي حدث؟».

تحرك دانتي ليقترب أكثر من آلونسو، وقال: «هل تعرضت للمجابهة؟».

سأل لازارو وهو يجلس على كرسي بعيد عن آلونسو: «وفالديز، ماذا حدث له؟ هل تم القبض عليه؟ هل تمكن من الهرب؟».

شعرت صوفي بدوار في رأسها. بدا الرجال متحمسين تماماً كالأطفال. يطلبون المعلومات والتفاصيل من آلونسو... ما الذي حدث في آغوزو؟ وماذا عن رجل فالديز، فدريكو الفارو؟ وكم عدد الرجال الذين كانوا برفقة فالديز؟...

جلس ليون أمام طاولة المطبخ الكبيرة، وصوفي إلى جانبه وما تبقى من أفراد عائلة غالفان يحيطون به، وأخبرهم بالتفصيل عن المواجهة مع فالديز.

قال في النهاية: «لكنها لم تكن مواجهة حقيقية، لأن الفرقة ١٦ والقوات المسلحة للمملكة المتحدة تمكنت من التعاون مع وكالة الاستخبارات المركزية الأميركية والشرطة الأرجنتينية والبرازيلية. تحركت هذه القوات إلى المنطقة، والمنزل الذي كنا نمكث فيه أصبح محاطاً كلياً».

هزّ رأسه متذكراً ما حدث: «لم يحظَ فالديز ورجاله بأية فرصة ممكنة».

أصرَّ لازارو قائلاً: «إذن فالديز في السجن الآن؟».

- رفض أن يؤخذ سجيناً، وفي الدقيقة الأخيرة أطلق النار على نفسه.

أجاب آلونسو قبل أن ينظر ناحية الأطفال، متذكراً أنهم هنا وأنهم يجبسون

أنفاسهم ليتمكنوا من سماع التفاصيل المرعبة. أصبح صوته أكثر نعومة وهو يتابع: «هناك الكثير من الإدانات المتعلقة بفالديز. ألفارو مات في المعركة أما فالديز فهذا كان خياره، ونحن لسنا مسؤولين عن موته. ومعظم رجالنا خرجوا من المعركة بسلام.

- رجالنا؟

كرّرت صوفي، لم تكن متأكدة أنها فهمت تماماً ما قصده. عمّ كان يتحدث بالفعل؟

أجابت أنابيلا: «فريق عمل ليون «الفرقة ١٦»».

ضاقت عينا صوفي وحدقت بزوجها: «فريق عمل ليون؟».

هزّ طوماس الذي يبلغ الثامنة من عمره رأسه بقوة وقال: «العم آلونسو جاسوس. وهو يعمل لدى الملكة».

أضاف بفخر واعتزاز: «في إنكلترا».

هزّ الأطفال الآخرون رؤوسهم، وقالوا: «في إنكلترا».

وكأنها البلد الأجمل في العالم كله!

ليون، جاسوس؟ يعمل في القوات المسلحة؟ في الفرقة ١٦؟ إنهم يرونه وكأنه جيمس بوند. نظرت صوفي إلى ليون، لم تكن متأكدة إن كان عليها أن تضحك أم تبكي: «هل أنت جاسوس؟».

تبادل لوسيو وأنابيلا نظرات خاطفة، واقتربت زوا من لازارو. أما بقية أفراد العائلة فظلّوا صامتين.

سألها طوماس، غير مصدق: «ألا تعرفين ذلك؟».

تنحنح آلونسو قليلاً، ومدّ يده ليمسك بكوب الماء. شرب قليلاً منه، ثم أعاده إلى الطاولة بهدوء وقال: «نحن لا نستعمل كلمة جاسوس، عزيزي. بل نقول: ضابط في الشرطة، أو رجل مباحث».

هذا أمر مستحيل! وعادت صوفي تسأله: «أأنت جاسوس؟».

- كنت ضابطاً في الفرقة ١٦. وتقاعدت... منذ سنتين بالتحديد.

التقت عيناه بعينيها، وبدا الحزن في عينيه عميقاً.

- تلقيت ضربة قاسية.

- إلى أي حد كانت قاسية؟

- فقدت أعز صديق لدي.

فجأة فهمت كل شيء. فجأة رأت ما لم تستطع أن تربط أجزاءه من قبل. لماذا كان ليون هناك تلك الليلة في ساو باولو، ولماذا يعرف الكثير من التفاصيل عن حياة كليف مع أنهما توقفا عن التحدث مع بعضهما لسنوات. ولماذا يستطيع ليون أن يقوم بما يقوم به.

ولماذا لديه الكثير الكثير من العلاقات المهمة...

وضعت يدها في يده، وانحنت نحوه وهي تهمس: «أعتقد أننا بحاجة أنا وأنت لبعض الوقت بمفردنا، عزيزي».

في الطابق العلوي أغلق ليون الباب بينما وقفت صوفي في وسط الغرفة تنظر إليه، وتهز برأسها. ظهر الضيق على وجه ليون: «آسف لأني لم أخبرك، لم أستطع أن أفعل ذلك، ليس وفالديز ما زال حياً».

قاطعته بنعومة: «أتفهم ذلك».

- أحقاً؟

هزت برأسها وتحركت نحوه، واضعة يديها على صدره: «لم تشأ أن أعرف أية معلومات تعرض حياتي للخطر».

- كان من الأفضل لك ألاّ تعلمي. على الأقل، ألاّ تعلمي نوع الخطر الذي أتعرض له بشكل دائم.

حبست أنفاسها وهي تنظر إلى عينيه: «أحقاً تقاعدت؟».

- لقد تقاعدت فعلاً. وأنا مجرد عجوز ممل يملك منجماً للزمرد هذه الأيام.

شعرت كأن حملاً ثقيلاً أُزيح عن قلبها. كانت قلقة جداً، وخائفة عليه. لكن ليون كان بخير. سيكونان حقاً بخير بعد الآن.

- إنه عمل ممل جداً.

تنهدت ومررت أظافرها على صدره: «أفترض أنك ترغب في جعلي أستحم بالمجوهرات...».

- المجوهرات؟

سمعت الضحكة المبحوحة في صوته. أجابت وهي تعانقه: «نعم، المجوهرات. أو إذا كنت تفضل، يمكنك أن تعوض علي بطريقة أخرى».

- أتعنين الآن؟

عانقته ثانية وقالت: «نعم، الآن...».

لم يمانع ليون بذلك. فأحاطها بذراعيه القويتين، وغابا معاً في دوامة من الشوق والحب أنسته ما حدث مع فالديز. أنسته الخوف من احتمال عدم حضور الشرطة المحلية والفرقة ١٦ ووكالة الاستخبارات المركزية الأميركية... أما صوفي فغرقت في بحر من الشوق إليه، فحبه قد أعطاها الحرية بلا حدود. وفكرت أنها لن تخشى شيئاً بعد الآن، ولن تخفي عاطفتها أبداً.

في ما بعد، وبينما كانت صوفي متكورة قرب ليون في السرير، واضعة يدها على صدره الكبير. تمتمت وهي شبه نائمة: «لو اضطررت إلى قضاء عيد الميلاد بدونك، يسعدني أن أقضيه مع عائلتك».

مرّر يده على شعرها ببطء وقال: «أنت تحبين العائلات الكبيرة، أليس كذلك».

- مم... كان بإمكاننا أن نوفر على أنفسنا الكثير من المشاكل لو أنك أحضرت كل هؤلاء الغالفان منذ عشر سنين.

اهتز صدره من الضحك وقال: «أهذا كل ما كنت بحاجة إليه كي أحظى بك؟ عدد من الأخوة والأخوات؟».

رمته بابتسامة لعوبة وقالت: «كان ذلك ليساعدنا، فهم كلهم رائعون.. كل واحد منهم.. مع أنني أعتقد أن الرجل الشرير لازارو هو المفضل لدي».

- ماذا؟ من الأفضل أن تفكري جيداً قبل قول ذلك.

قهقهت صوفي واقتربت منه أكثر.

همست وهي تداعب خده: «أنت المفضل لدي!».

عانقته وهي تستمتع برائحة بشرته وبقوة عضلات صدره.

- أنت بطل قوي وخارق. إنك حقاً سوبرمان، أتعلم ذلك آلونسو غالفان؟

عانقها آلونسو بنعومة لا تصدق بالنسبة إلى رجل بقوته، وقال: «لقد سمعت بذلك من قبل وأنا أؤمن أن ذلك يجري في جيناتنا الموروثة».

www.elromancia.com